القسم الثانى

أَهْلُ الرَّحْمَةِ

فى السُّنَّةِ المطَهَّرة

١ ـ وهُم أهْلُ التَّنفيس والتَّيسير والسَّتْر

الذين تحدث عنهم الحبيب المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى حديث صحيح رواه مسلم :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **مَنْ نفَّسَ عن مؤمنٍ كُرْبَةً من كُرب الدنيا ؛ نفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامَة ، ومَنْ يسَّر على مُعْسرٍ يسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومَنْ سَتَر مُسْلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عَوْن العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يَلْتَمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة ، وما اجتمع قومٌ فى بَيْتٍ من بُيُوت الله يتلون كتابَ الله ويتدارسُونه بينهم إلا نزَلَتْ عليهمُ السَّكينةُ ، وغَشيَتْهُمُ الرَّحْمةُ ، وحَفَّتهُمُ الملائكةُ ، وذكرهم الله فيمن عندهُ ، ومن بَطَّأَ به عملُه لم يُسرع به نَسَبُه** » .

ـ ففى هذا الحديث الصحيح يشير النبى ﷺ إلى أهم الأسباب التى بها سنكون أهلاً لرحمة الله تبارك وتعالى فى الدنيا والآخرة .. وهو التكافل الاجتماعى الذى ينبغى أن يكون تنفيسًا عن كروب المؤمنين بصفة خاصة .. وكذلك بالتيسير على المعسرين .. والستر على المسيئين منهم .. مع تقديم النصيحة إليهم ، حتى يثوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى ربهم .. ويوم أن

نفعل هذا .. فإن الله سبحانه وتعالى سيكون عونًا لنا .. ومُخلفاً علينا .. ولا سيَّما إذا كان الفعل هذا على أساسٍ من العلم النافع الذى ينبغى أن يُطلب فى بيوت الله .. التى هى المدارس الحقيقية لطلب العلم النافع ، الذى لن يكون إلا عن طريق القرآن والسنة ..

والله ولى التوفيق .

***

٢ - وهُم الذين تُضاعَف لهم الحسنات وتُمحَى عنهم السيئات

كما جاء فى نص حديث صحيح رواه البخارى ومسلم :

- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : « **إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيّنَ ذلك ، فمن همّ بحسنَة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن همّ بها فعَملهَا كتبها الله عنده عشرَ حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن همّ بسيئة فلم يَعْمَلْهَا كتبها الله عنده حسنةً كاملةً ، وإن همّ بها فعَملهَا كتبها الله سيئةً واحدة** » . قال الإمام النووى فى الأربعين النووية ، مُعلِّقًا على هذا الحديث :

فانظر يا أخى - وفقنا الله وإياك - إلى عظيم لطف الله تعالى ، وتأمَّل هذه الألفاظ ، وقوله : «عنده » إشارةٌ إلى الاعتناء بها ، وقوله : « كاملةً » للتأكيد وشدة الاعتناء بها ، وقال فى السيئة التى همّ بها ثم تركهَا : « كتبها الله عنده حسنةً كاملة » فأكّدها بـ « كاملة » « وإن عملها كتبها سيئة واحدة » ، فأكد تقليلها بـ « واحدة » ، ولم يؤكدها بـ « كاملة » .. ثم يقول :

فللَّه الحمد والمنَّةُ ، سبحانه لا نُحْصِى ثناءً عليه ، وبالله التوفيق ..

- وفى شرح هذا الحديث ، وحول قوله ﷺ : « **كتبها الله عنده عشر**

حسنات إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة » : ذكر حديثاً رواه البزار فى مسنده ، أنه ﷺ قال : « الأعمال سبعةٌ : عملان مُوجِبَانِ ، وعملان : واحد بواحد ، وعمل : الحسنة فيه بعشرة ، وعمل : الحسنة فيه بسبعمائة ضعف ، وعمل : لا يُحصى ثوابه إلا الله تعالى . فأما العملان الموجبان : فالكفر والإيمان ؛ فالإيمان يُوجب الجنة ، الكفر يوجب النارَ . وأما العملان اللذان هما واحد بواحد : فمن همَّ بحسنة ولم يعملها ؛ كتبها الله له حسنةً ، ومَن عَمِل سيئةً كتب الله عليه سيئةً واحدة ».

وأما العمل الذى بعشر حسنات ، فعمل الحسنة ، لقوله تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾(١). وأما العمل الذى بسبعمائة ضعف ، فَدِرْهَمُ الجِهَادِ فى سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾(٢) ، ثم ذكر الله سبحانه وتعالى بعد ذلك : ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾(٣) زيادةً على ذلك ، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٤) ، فدلت الآية والحديث ـ وهو قوله ﷺ : « إلى أضعاف

---

(١) الأنعام ، من الآية ١٦٠ .

(٢) البقرة ، من الآية ٢٦١ .

(٣) البقرة ، من الآية ٢٦١ .

(٤) النساء ، من الآية ٤٠ .

كثيرة » ـ أن العشر والسبعمائة : كلمة ليست للتحديد ، وأنه يضاعف لمن يشاء ، ويُعطى من لدنه ما لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى .. فسبحان مَن لا تُحْصَى آلاؤه، ولا تُعَدُّ نعماؤه ، فله الشكر والفضل ..

وأما السابع : فهو الصوم ، يقول الله تعالى ، فى الحديث القدسى : « **كُلّ عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لى ، وأنا أجزى به** »[1] : فلا يعلم ثواب الصوم إلا الله تبارك وتعالى .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يحرصا كل الحرص على أن يكونا ـ إن شاء الله ـ من أهل الحسنات ، لا من أهل السيئات .. حتى يكونا ـ بسبب هذا ، إن شاء الله ـ من أهل الرحمة .. والله ولى التوفيق .

***

---

(١) جزء من حديث صحيح ، رواه أحمد ومسلم والنسائى .

٣ - وهُم الذين يَتقرَّبون إلى الله عَزَّ وجَلَّ بالفرائض والنوافل

كما جاء فى نص حديث صحيح رواه البخارى :

ـ عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسُولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « إن الله تعالى قال : « مَن عادى لى وليًا فقد آذنتُه بالحرب ، وما تقرَّبَ إلىّ عبدى بشىء أحبّ إلىّ مما افترضتُه عليه ، ولا يزال عبدى يتَقَرَّبُ إلىّ بالنوافل حتّى أُحبّه ، فإذا أحببتُهُ ، كنتُ سمعَهُ الذى يسمع به وبَصَرَهُ الذى يُبصِرُ به ، ويده التى يبطشُ بها ، ورجلَهُ التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطِيَنّهُ ، ولئن استعاذنى لأعِيذَنّه » .

ـ فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة .. أن يحرصا كل الحرص على أن يكونا من الذين يكثرون من النوافل مع الفرائض ..

ـ وقد جاء فى الأربعين النووية حول شرح هذا الحديث .. وحول الجزئية الخاصة بالتقرب إلى الله تعالى بالنوافل مع الفرائض ، ما نصه : ضرب العلماء رضى الله تعالى عنهم لذلك مثلاً ، فقالوا : مثل الذى يأتى بالنوافل مع الفرائض ومثل غيره ، كمثل رجل أعطى لأحد عَبْدَيْه درهمًا ليشترى به فاكهة ، وأعطى الآخر درهمًا ليشترى به فاكهة .. فذهب أحد

العبـدين ، فاشتـرى فاكهة ، فـوضعها فـى قوصرة[1] وطرح عليـها رَيْحـانًا ومشمومًا[2] من عنده ، ثم جاء فوضعها بين يدى السيد ..

(وذهب) الآخر واشترى الفاكهة فى حِجْرِه ، ثم جاء فوضعها بين يدى السيـد على الأرض .. فكل واحد من العبـدين قد امتثل ، لكن أحـدهما زاد من عنده القوصرة والمشموم ؛ فيصير أحب إلى السيد .

فمن صلى النوافل مع الفـرائض ؛ يصير أحب إلى الله .. (وقـد) شُرِعَ التطوع ـ وهو صلاة غـير واجبـة ، والمراد بها السُّنَّةُ أو النفل ـ ليكون جبراً لما عسى أن يكون قد وقع فى الفـرائض من نقص ، ولما فى الصـــلاة من فضيلة ليست لسائر العبادات ..

فعن أبى هريـرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إن أول ما يُحـاسبُ الناس بـه يومَ القيـامة من أعمـالهم الصلاة ، يقول ربُّنا لـملائكته ، وهو أعلم : انظروا فى صـلاة عبـدى ، أَتَمَّهـا أم نقصـها ؟ فـإن كانت تامـة كُتـبت لـه تامَّـة ، وإن كان انتـقص منها شـيئـًا ، قال : أَتِمُّـوا لعبدى فـريضتـه من تَطَوُّعِه ، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك** » رواه أبو داود .

ـ **مع ملاحظـة** : أن المحَبَّـة من الله إرادة الخير ، وأنَّ الله إذا أحبَّ عـبده شغله بِذِكْـرِه وطاعته ، وحـفظه من الشيطان ، واستـعمل أعضـاءه فى الطاعة

---

(١) أى : فى سلة جميلة المنظر .. أو ما شابه هذا .

(٢) أى : ما له رائحة ذكية .

وحَبَّبَ إليه سماع القرآن والذِّكْر ، وكَرَّه إليه سماع الغناء ، وآلات اللهو ، وصار من الذين قال الله تعالى فى حقهم : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾(٢) أى : إذا سمعوا منهم كلامًا فاحشًا أضربوا عنه ، وقالوا قولاً يسلمون فيه ..

وحفظ بصره عن المحارم ، فلا ينظر إلى ما لا يحل له ، وصار نظره نظر فكر واعتبار ، فلا يرى شيئاً من المصنوعات إلا استدل به على خالقه .. يقول علىٌّ ـ رضوان الله عليه ـ : « ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ الله تعالى قبله » . ومعنى الاعتبار ، أى : العبور بالفكر فى المخلوقات إلى قدرة الخالق .. فَيُسبِّح عند ذلك ، ويُقَدِّسُ ويُعَظِّمُ ، وتصير حركاته باليدين والرجلين كُلُّها لله تعالى ولا يمشى فيما لا يعنيه ولا يفعل بيده شيئًا عبثاً ، بل تكون حركاته وسكناته لله تعالى فَيُثاب على ذلك فى حركاته وسكناته وفى سائر أفعاله ..

وقوله تعالى : « كنت سمعه .. » يحتمل : كنت الحافظ لسمعه ولبصره ولبطش يده ورجله من الشيطان ، ويحتمل : كنت فى قلبه عند سمعه وبصره وبطشه ، فإذا ذكرنى كف عن العمل لغيرى ..

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا وينفِّذاه .. حتى يكونا أهلاً لرحمة الله . والله ولى التوفيق .

---

(١) القصص ، من الآية ٥٥ . (٢) الفرقان ، من الآية ٦٣ .

٤ ـ وهُمُ المؤمنُون الذينَ يأكُلون الطَّيِّبات

كمـا أمرهم الله تعالى بهـذا .. وكمـا جاء فى نص حديث صـحيح رواه مسلم :

ـ عن أبى هريرة رضى الله تعـالى عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله تعالى طيّبٌ لا يقبل إلاّ طَيّبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقـال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَـا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾(١) وقـال تعـالى : ﴿ يَا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا كُلُـوا مِـن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾(٢) ثم ذكر الرجلَ يُطيل السفرَ أشعَث أغبر يَمُدُّ يَدَيْه إلى السماء يا ربُّ يا ربُّ ، ومطعمه حرام ومشـربه حرام وملبسُه حرام ، وغُذِّى (٣) بالحرام فأنَّى يُستَجابُ له » ، أى : كيف يستجيب الله له ..؟!.

ففى هذا الحديث الشـريف الصحيح يشيـر الحبيب المصطفى ﷺ أولاً إلى مـلاحظة مـهـمـة وهى أن الله تعـالى (طيِّبٌ) أى : مُنزَّه عـن النقـائص

---

(١) المؤمنون ، من الآية ٥١ .

(٢) البقرة ، من الآية ١٧٢ .

(٣) أى : نبت لحمه من حرام .

والخبائث ، ولا يوصف إلا بصفات الكمال ... وأنه سبحانه وتعالى « لا يقبل إلا طيّباً » أى : لا يُتَقَرَّبُ إليه بصدقة حرام .. وأنه يكره التصدق بالرديء من الطعام ، كالحب العتيق ، والمسوس ، وكذلك يكره التصدق بما فيه شبهة . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾[1] وفى الحديث دليل على أن الشخص يُثَابُ على ما يأكله إذا قصد به التَّقَوِّى على الطاعة أو إحياء نفسه .. وذلك من الواجبات ، بخلاف ما إذا أكل لمجرد الشهوة والتنعم ..

هذا .. وإذا كان المراد بالطيبات ، أى : الحلال .. فإنه يجب عليه أن يتحرى الحلال هذا فى مأكله ومشربه وملبسه .. وأن لا يُدخل بطنه أو بيته مأكولاً أو مشروباً أو ملبوسًا .. من تجارة غير مشروعة ، كتجارة الدخان ، أو الحشيش ، أو الخمور ، أو من عَملٍ غيرِ مُتْقَنٍ ، أو من رشوة ، أو من تعامل رِبَوِىّ ، أو من رقص ، أو طبل ، أو زمر ، أو لهو ، أو لعب ... إلخ ؛ لأن كل هذا سيكون حرامًا .

وقد قرأت أن الأسرة المسلمة فى العصر الأول كانت إذا خرج عائلها ليسعى على رزقهم جميعًا .. كانت تقف له على باب المنزل لكى تُودِّعه .. وهى تقول له : اتق الله فينا .. ولا تعد إلينا إلا بالرزق الحلال ؛ فإنا نصبر على الجوع والعطش ولا نصبر على عذاب الله ..

وكان أحد الصالحين ، وهو إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه ، يطلب نقصان

---

(١) البقرة ، من الآية ٢٦٧ .

أجره ـ بعد أداء العمل المتفَق عليه على أكمل وجه ـ مخافة أن لا يكون قد أتقن العمل ..

وروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال : « كنا نترك سبعين بابًا من الحلال، مخافة أن نقع فى باب واحد من الحرام » .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه .. حتى يكونا من أهل الحلال .. وحتى إذا ما تصدقا بجزء من هذا المال الحلال ؛ قبله الله تعالى منهما .. وكذلك إذا ما دعوا الله تعالى ، وسألاه خيراً .. استجاب الله تعالى لهما ، كما أشار الحديث .

بل وحَسْبُهما ـ بسبب كل هذا ـ أنهما سيكونان من أهل الرحمة إن شاء الله ..

والله ولى التوفيق .

***

٥ ـ وهُمُ المؤمنُون الصَّادقون الذين يتَّقون الشُّبُهات

كما جاء فى نص حديث صحيح رواه البخارى ومسلم :

ـ عن أبى عبد الله النعمان بن بشير ﷺ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « **إن الحلالَ بَيِّنٌ ، وإن الحرام بَيِّنٌ ، وبينهما أمور مُشتَبهات لا يعلمهُنَّ كثير من الناس ، فمن اتَّقَى الشبُهات ؛ فقد استبرأ لدينه وعرضِه ، ومَن وقع فى الشُّبُهَاتِ وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحِمى ، يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حِمًى ، ألا وإنَّ حِمىَ الله مَحارِمُه ، ألا وإن فى الجَسَدِ مُضغَةً ، إذا صلَحت صلح الجسدُ كلُّه ، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه ، ألا وهى القلب** » .

ـ ففى هذا الحديث الشريف المتفق عليه يشير النبى ﷺ إلى ملاحظة مهمة .. ينبغى على المسلم والمسلمة أن يلاحظاها ، وهى ضرورة أن لا يقعا فى الشبهات حتى لا يقعا فى الحرام ، الذى هو ما دل الدليل على تحريمه ، كما قال الشافعى ﷺ . والحلال هو ما دَلَّ الدليل على حِلِّه ، كما قال أبو حنيفة ﷺ .

وأما الأمور المشتبهات التى لا يعلمهن كثير من الناس ، فهى التى بين الحلال والحرام وهى على درجات ، فقد تكون قريبة من الحلال ، إذا دعت الضرورة إليها ، واطمأن القلب لفعلها ..

وقد تكون قريبة من الحرام ، إذا لم تكن هناك ضرُورة إليها ، وحدث فى الصدر شك فيها .. وليست الضرورة هنا من قبيل الضرورات التى تبيح المحظورات .. وإلا لما كان فى فعل المتشابه إثم ولا كراهة .. فقد قال الله تعالى: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، وإنما هى الضرورة غير الملجئة .. فإن لم يكن المتشابه قريبًا من الحلال ،أو قريباً من الحرام ، كان وسطًا بينهما ، وهو ما كثر فيه الخلاف ، وعجز المرء عن الميل إلى أى من الآراء المتضاربة ، ولم يجد فى قلبه اطمئنانًا لقول قائل ، أو فتوى مُفْت ، ولم تقم ضرورة ترجِّحُ فعله ، أو تركه ..

قال فى الفقه الواضح[2] : وعلى كل حال ، فإتيان المتشابه مكروه شرعًا. والمكروه : ما طُلب تركه طلبًا غير جازم ، أى : غير مؤكد . والناس فريقان : بَرٌّ ، وفاجر .. فالفاجر : هو المتجرئ على الحرمات المتعدى لحدود الله، المتهاون بوعد الله ووعيده . والبار : هو المحافظ على حدود الله ، المعتصم بدينه ، الطامع فى رحمته، الخائف من عذابه .

ـ فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا ، وينفذاه .. وحسبهما تعبير النبى ﷺ : « **فمن اتقى الشُبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه** » أى : طلب براءة دينه وسلم من الشبهة ..

---

(١) البقرة ، من الآية ١٧٣ .

(٢) ج١ ، ص ٢٦ . وصاحبه هو الأستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل ـ أكرمه الله .

بل وحسبهما قوله تحذيراً لهما من الوقوع فى الشُّبُهات : « ومَن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام » .

إنهما ـ إن شاء الله تعالى ـ بملاحظة كل هذا وتنفيذه ، سيكونان أهلاً لرحمة الله .

والله ولى التوفيق .

***

٦ - وهُم الموَفَّقُون الذينَ
يَحفظُونَ الله تعالى

تنفيذاً لوصية الرسول ﷺ لعبد الله بن عباس - رضى الله تعالى عنهما - كما جاء فى نص حديث شريف رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح:

- عن أبى العباس عبد الله بن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال : كنتُ خَلْفَ النبى صلى الله عَليه وآله وسلمّ فقال : « يا غلام إنى أُعلّمُكَ كَلمات : احفظ الله يَحْفَظْكَ ، احفظ الله تجدهُ تجاهَكَ ، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذَا اسْتَعَنْتَ فاستعن بالله ، واعلمْ أن الأمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء ، لم ينفعُوكَ إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يَضُرُّوكَ بشىء ، لم يَضُرُّوكَ إلا بشىء قد كتبهُ الله عليكَ ، رُفعت الأقلام وجفّت الصُحُفُ » ، وفى رواية غير الترمذى :

- « احفظِ اللهَ تجده أمامكَ ، تَعَرّفْ إلى الله فى الرخَاءِ يَعرِفْكَ فى الشدّةِ ، واعلم أنّ ما أخطأكَ لم يكُنْ ليُصيبكَ ، وما أصَابك لم يَكُنْ ليُخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرجَ معَ الكَرْبِ ، وإن مَعَ العُسْرِ يُسراً » .

- ففى هذا الحديث الشريف ، أو فى هذه الوصية العظيمة يوصينا النبى ﷺ جميعاً فى شخص سيدنا عبد الله بن عباس - رضى الله تعالى عنهما -

بما ينبغى علينا نحن المؤمنين بصفة خاصة أن ننفذه .. ولا سيما قوله : « **احفظ الله يحفظك** » أى: احفظ أوامره وامتثلها وانْتَهِ عن نواهيه ؛ يحفظك فى تطلباتك ، وفى دنياك وآخرتك . قال تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ أى : فى الدنيا ﴿ **وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[1] أى : فى الآخرة ... مع ملاحظة أن ما يحصل للعبد من البلاء والمصائب ـ ما كان وما سيكون ـ إلا بسبب تضييع أوامر الله تعالى وعدم اجتناب نواهيه .. قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** ﴾[3].

ـ وقولهﷺ: « **احفظ الله تجده تجاهَكَ** » أى : أمامك .. ولا سيّما عند الشدائد . وهذا هو المراد من قول الرسولﷺ: « **تعرّفْ إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة** » ، وقد نصَّ الله تعالى فى كتابه العزيز على أن العمل الصالح ينفع عند الشدة ، ويُنَجِّى فاعله .. وأن عمل المصائب يؤدِّى بصاحبه إلى الشدة .. قال تعالى ـ حكاية عن يونس عليه الصلاة والسلام ـ :

---

(١) النحل : الآية ٩٧ .

(٢) الشورى : الآية ٣٠ .

(٣) هود : الآية ١١٧ .

﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1] ، ولما قال فرعون: ﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾[2] قال له الملك : ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[3] .

ـ وقوله ﷺ : « **إذا سألت فاسأل الله** » : يشير إلى أن العبد لا ينبغى له أن يعلق سره بغير الله ، بل يتوكل عليه فى سائر أموره ، ثم إن كانت الحاجة التى يسألها لم تجر العادة بجريانها على أيدى خلقه .. كطلب الهداية والعلم والفهم فى القرآن والسنة ، وشفاء المرض ، وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة .. سأل ربه ذلك .. وإن كانت الحاجة التى يسألها جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يجريها على أيدى خلقه .. كالحاجات المتعلقة بأصحاب الحرف والصنائع ، وولاة الأمور .. سأل الله أن يُعَطِّفَ عليه قلوبهم فيقول : اللهم حَنِّنْ علينا قلوب عبادكَ وإمائكَ .. وما أشبه ذلك .. ولا يدعو الله تعالى باستغنائه عن الخلق ؛ لأنه ﷺ سمعَ علياً رضي الله عنه يقول : « **اللهم أَغْنِنَا عن خلقك** ».. فقال : « **لا تَقُل هكذا ، فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض ، ولكن قل : اللهم أغننا عن شرارِ خَلْقِكَ** » ..

وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم .. وكان على رضي الله عنه يقول : « من اعتمد على ماله قَلَّ ، ومَن اعتمد على عقله ضَلَّ ، ومَنِ اعتمد على

---

(١) الصافات : الآيتان ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) ، (٣) يونس ، من الآيتين ٩٠ ، ٩١ .

جاهه ذَلَّ .. ومن اعتمد على الله .. لا قَلَّ ، ولا ضَلَّ ، ولا ذَلَّ » . ويُروى عن الله تعالى فى الكتب المُنَزَّلة : « أيُقرع بالخواطر باب غيرى ، وبابى مفتوح ، أم هَل يُؤمَّل للشدائد سواى وأنا الملك القادر ، لأكْسُوَنَّ مَن أمَّل غيرى ثَوب المذلة بين الناس .. » إلخ .

ـ وقولهﷺ « **واعلم أن الأمة** .. إلخ » معناه : أنه لما كان قد يطمع فى برِّ مَن يُحبُّه ، ويخاف شَرَّ مَن يحذره .. قطع الله اليأس من نفع الخلق بقوله تعالى : ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ** ﴾[1] ولا ينافى هذا كله قوله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ **فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ** ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ** ﴾[3] وكذا قوله: ﴿ **خُذُوا حِذْرَكُمْ** ﴾[4] إلى غير ذلك .. بل السلامةُ بقَدَرِ الله ، والعَطَبُ بقدر الله .. والإنسان يَفرُّ من أسباب العَطَبِ إلى أسباب السلامة .. قال الله تعالى : ﴿ **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾[5] .

ـ وقولهﷺ : « **واعلم أن النصر مع الصبر** » : أجاب عنه الرسول

---

(١) يونس ، من الآية ١٠٧ .
(٢) القصص ، من الآية ٣٣ .
(٣) طه ، من الآية ٤٥ .
(٤) النساء ، من الآية ٧١ .
(٥) البقرة ، من الآية ١٩٥ .

ﷺ في قوله: « لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ولا تفروا ، فإن الله مع الصابرين » ، وكذلك الصبر على الأذى في موطن يعقبه النصر ..

ـ وقوله ﷺ : « وأن الفرج مع الكرب » معناه : أن البلاء إذا اشتد البلاء .. أعقبه الله تعالى الفرج .. كما قيل : اشتدى أزمة تنفرجي ..

ضَاقَتْ ولمَّا استَحْكَمَتْ حَلَقَاتُها ... فُرِجَتْ وكنتُ أظُنُّها لا تُفْرَجُ

وهذا معناه ـ كذلك ـ أنه إذا اشتد الكرب هان ..

ـ وقوله ﷺ : « وأن مع العسر يسراً » فسره قول النبى ﷺ : « لا يغلب عُسرٌ يُسْرَيْنِ » .

وذلك لأن الله تعالى ـ فى سورة الانشراح ـ ذكر العسر مرتين ، وذكر اليسر مرتين .. لكن عند العرب أن المعرفة إذا أُعيدت مُعرَّفة توحَّدت ، لأن اللام الثانية للعهد ، وإذا أُعيدت النكرة نكرة تعددت ، فالعسر ذُكر مرتين مُعرَّفًا ، واليُسر مرتين مُنكَّرًا ، فكان اثنين .. فلهذا قال ﷺ : « لن يغلب عُسْرٌ يُسرين » وإلى هذا يشير الشاعر فى قوله :

إذا اشْتَدَّتْ بِكَ البَلْوَى ... فَفَكِّرْ فى « ألَمْ نَشْرَحْ »

فَعُسْرٌ بَيْنَ يُسْرَيْنِ ... إذا فَكَّرْتَهُ تَفْرَحْ

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن ينتفعا بكل هذا الخير ـ إن شاء الله ـ حتى يكونا من أهل الرحمة .. والله ولى التوفيق .

***

٧ ـ وهُم المؤمنُون الذينَ يُخالقُون الناسَ بِخُلُقٍ حَسنٍ

تنفيذاً لما جاء في نص حديث شريف رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن ، وفى بعض النسخ حسن صحيح :

ـ عن أبى ذَرٍّ جندُب بن جُنَادة وأبى عبد الرحمن معاذ بن جَبل ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **اتّق الله حيثُما كنتَ ، وأتبع السيئةَ الحَسَنَةَ تمحها ، وخالق الناسَ بخلُقٍ حسن** » :

ـ فى هذه الوصية العظيمة يوصينا النبى ﷺ بأهم ما ينبغى على المؤمن الصادق أن يلاحظه ، وينفِّذه .. وهو : أن يتقى الله تبارك وتعالى حيثما كان .. أى : أن يتقيه فى الخلوة ، كما يتقيه فى الجلوة .. بحضرة الناس ، وأن يتقيه فى سائر الأمكنة والأزمنة ..

ومما يُعين على التقوى ـ المشار إليها ـ استحضار أن الله تعالى مُطَّلع على العبد فى سائر أحواله .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾[1].

---

(١) المجادلة ، من الآية ٧ .

مع ملاحظة : أن التقوى كلمة جامعة ، لفعل الواجبات وترك المنهيات ، وهى أيضاً كما وصفها على ـ كرم الله وجهه ـ بقوله : « الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل » .

ـ وقولهﷺ : « **وأتبع السيئة الحسنة تمحها** » : أى : إذا فعلت سيئة فاستغفر الله تعالى منها ، وافعل بعدها حسنة تمحها ... ثم قال الإمام النووى بعد ذلك فى شرح الأربعين النووية : واعلم أن ظاهر هذا الحديث يدل على أن الحسنة لا تمحو إلا سيئة واحدة ، وإن كانت الحسنة بعشر ، وأن التضعيف .. لا يمحو السيئة ، وليس هذا على ظاهره .. بل الحسنة الواحدة تمحو عشر سيئات .. وقد ورد فى الحديث ما يشهد لذلك ، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « **تُكَبِّرون دُبُر كل صلاة عَشراً ، وتحمدون عشراً ، وتسبِّحون عشراً ، فذلك مائة وخمسون باللسان ، وألف وخمسمائة فى الميزان** » ثم قالﷺ :« **أيكم يفعل فى اليوم الواحد ألفاً وخمسمائة سيئة** » : دَلَّ على أن التضعيف يمحو السيئات .. وظاهر الحديث : أن الحسنة تمحو السيئة مطلقًا ، وهو محمول على السيئة المتعلقة بحق الله تعالى .. أما السيئة المتعلقة بحق العباد من الغضب والغيبة والنميمة فلا يمحوها إلا الاستحلال من العباد ، ولابد أن يُعيِّن له جهة الظُّلامة .. فيقول : قلت عليك كيت وكيت .. وفى الحديث دليل على أن محاسبة النفس واجبة .. قالﷺ : « **حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا** » وقال الله

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾(١) .

ـ وقوله ﷺ : « وخالق الناس بخلُقٍ حسن » معناه : أن الخلق الحسن لا بد أن يكون أساساً فى هذا الدين .. وإلا فإن ثواب هذا الإنسان سيكون من نصيب هؤلاء الذين أساء إليهم ؛ وذلك لأن الخلق الحسن كلمة جامعة للإحسان إلى الناس ، وإلى كف الأذى عنهم .. قال ﷺ : « إنكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم فَسَعُوهُم ببَسْط الوجه وحُسن الخُلق » ، وعنه ﷺ : « خَيرُكم أحسنُكم أخلاقًا » .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة ، أن يلاحظا كل هذا وينفذاه ؛ حتى يكونا من أهل الرحمة إن شاء الله ... والله ولى التوفيق .

***

(١) الحشر : من الآية ١٨ .

٨ ـ وهُم المتَّقُون المطيعُون لله ورَسُوله المتمسكون بسُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضى الله عنهم أجمعين

تنفيذاً لوصية الرسول ﷺ التى وردت فى نص حديث شريف ، أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصَحَّحه والبيهقى والترمذى ، وقال : حسن صحيح :

ـ عن أبى نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : صَلَّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم ، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغةً ذرفت منها العيونُ ، ووَجِلَتْ منها القلوبُ ، فقال قائل : يا رسول الله : كأنَّ هذه موعظة مُودِّع ، فماذا تعهد إلينا[1] ؟ فقال : « **أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإنْ عَبْدًا حَبَشِيًا[2] ، فإنه مَن يعشْ منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنّتى وسنة الخُلَفاء الراشدين المَهْديّين ، تمسّكوا بها وعضُّوا عليها بالنّواجذ[3] ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنّ كُلّ مُحدثَةٍ بدعةٌ ، وكُلّ بدعةٍ ضلالةٌ** » .

---

(١) أى : إنْ صَحَّ توقعنا ، فبماذا توصينا .. ؟

(٢) أى : وإن تأمَّر عليكم عبد ، لأن الإسلام قد أذاب الفوارق ؛ فلا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .

(٣) أى : الزموا سنتى وعضوا عليها بالنواجذ .. أى : مؤخر الأضراس ، وقيل : الأنياب .

ففى هذه الوصية العظيمة يوصينا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه فى أولها بتقوى الله سبحانه وتعالى ؛ لأنها رأس الأمر كُلِّه .. كما قال صلوات الله وسلامه عليه لأبى ذر ﷺ فى وصية أخرى : « **أوصيك بتقوى الله فإنها رأسُ الأمر كلِّه** » أى : أن التقوى بالنسبة للعبادة كالرأس بالنسبة للجسد فكما أنه لا حياة للإنسان بدون رأسٍ ، كذلك لا معنى للعبادة بدون تقوى ولهذا فقد أوصانا الله تعالى بها كما أوصى الأمم السابقة ، فقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾(١) .. ثم بعد ذلك يوصينا بأن نطيع أولى الأمر منا.. ما داموا يأمروننا بطاعة الله ورسوله ، وما دامت أوامرهم فى حدود طاعة الله ، لا فى معصيته .. لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .. والله تعالى يقول : ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾(٢) حتى ولو كان الأمير هذا عبداً حبشيّاً ، لأن الإسلام قد أذاب الفوارق .. ولم يُميز أحداً على أحد إلا بالتقوى .. قال تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾(٣).

ـ وكذلك يوصينا النبى ﷺ بالتمسك بسنته صلوات الله وسلامه عليه،

---

(١) النساء ، من الآية ١٣١ .

(٢) النساء ، من الآية ٥٩ .

(٣) الحجرات ، من الآية ١٣ .

وهى : ما فعله النبى ﷺ فى جماعة ، وواظب عليه ، أو أمر بفعله ، أو أقرَّ فاعله عليه ، ولم يدل دليل على وجوبه .

ـ وتنقسم السنَّة إلى مؤكدة ، وغير مؤكدة :

ـ **فالمؤكدة** : ما ثبتت مواظبة النبى ﷺ عليها ، واشتد إلحاحه فى طلبها ، ورغَّب فيها ، مع عدم وجود ما يدل على وجوبها . وهذه السنة يُثاب الإنسان على فعلها ، ويُعاتب على تركها .

ـ **وغير المؤكدة** : هى التى تركها النبى ﷺ فى بعض الأحيان ، ولم يُرغِّب فيها كثيراً ، ويُسَمِّيهَا بعض الفقهاء مُستحبَّةً أو مندوبةً ، أو سُنَّة خفيفة. وهذه السنة يثاب الإنسان على فعلها ، ولا يُعاتَب على تركها .

ـ كما يوصينا النبى ﷺ بالتمسك بسنة خلفائه الراشدين المهديين ، وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى .. عليهم جميعًا رضوان الله .. فقال: « **تمسكوا بها** » ولم يقل : تمسكوا بهما .. وهذا يشير إلى أن سنة الخلفاء الراشدين هى سنة الرسول ﷺ .

وقد يكون السبب فى هذه التوصية هو التنبيه على ضرورة الاقتداء بهم ، والسير أيضًا على هُداهُم .. لأنهم كانوا أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ ، كما كانوا أوائل تلاميذه الذين تخرجوا فى مدرسته .. فكانوا خُلَفَاءَ راشدين مهديين .. ﷺ وعن أصحاب الرسول أجمعين .

ـ مع ملاحظة أنه من العضِّ على السنة : الأخذ بها ، وعدم اتباع آراء

أهل الأهواء والبدع .. وفى الحديث : « **طُوبَى لمن وسِعَتْه السُّنّة ، ولم تَسْتَهْوِه البِدْعة** ».

وعن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول فى خطبته : « أما بعد فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وإن أفضل الهَدْى هَدْى محمد ، وشرَّ الأمور مُحْدَثاتُها ، وكلَّ مُحْدَثة بدعةٌ ، وكلَّ بِدْعة ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالة فى النار»

رواه أحمد ومسلم

ـ وقد قال **الشافعى** رضي الله عنه فى كتابه « الأم» : « **كل شىء خالف أمر رسول الله ﷺ سَقْطٌ ـ أى : مُهمل ومرفوض شرعًا ـ ولا يكون معه رأى ولا قياس ، فإن الله تعالى قطع العذر بقول رسول الله ﷺ ، فليس لأحد معه أمر ولا نهى غير ما أمر هو به** » . اهـ .

فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه .. حتى يكونا أهلاً لرحمة الله ـ إن شاء الله ـ والله ولى التوفيق .

***

٩ ـ وهُمُ العُقَلاء الحَقيقيّون الذين يَتركُون ما لا يَعنِيهم

تنفيذاً لتوجيه الرسول ﷺ فى نص حديث شريف حَسَنٍ ، رواه الترمذى وغيره هكذا :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يعنيه** » :

ـ ففى هذا الحديث الشريف .. أو فى هذا التوجيه الصَّائب .. يشير النبى ﷺ إلى أهم أسباب السلامة فى الدنيا والآخرة .. وذلك لن يكون إلا بترك مَن حسُن إسلامُهُ ما لا يعنيه ، أى : ما لا يهمه من أمر الدين والدنيا من الأفعال والأقوال .. وقد يسأل الإنسان : وما هو دورى فى هذه الحياة ، وما هو البرنامج الذى ينبغى أن أسير عليه .. حتى لا أَضِلَّ أَوْ أَزِلَّ ؟

فأذكِّره بحديث شريف[1] جاء فيه أن أبا ذر رضي الله عنه سأل النبى ﷺ عن صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام .. فقال له : « **كانت أمثالاً كلُّها ، كان فيها : أيها السلطان المغرور ؛ إنى لم أبعثك لتجمع الأموال بعضها على بعض ، ولكن بعثتك لتردَّ عنى دعوة المظلوم ، فإنى لا أَرُدُّها ـ وإن كانت من كافر** .

---

(١) وقد رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

وكان فيها : على العاقل ـ ما لم يكن مغلوبًا على عقله ـ أن يكون له أربع ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يتفكر فى صنع الله تعالى ، وساعة يُحدِّث فيها نفسه ، وساعة يخلو بِذِى الجلال والإكرام ، وإن تلك الساعة عون له على تلك السّاعات .

وكان فيها :على العاقل ـ ما لم يكن مغلوبًا على عقله ـ أن لا يكون ظاعنًا(١) إلا فى ثلاث : تزود لمعاد ، ومُؤنة لمعاشٍ ، ولذةٍ فى غير مُحَرَّمٍ .

وكان فيها : على العاقل ـ ما لم يكن مغلوبًا على عقله ـ أن يكون بَصيرًا لزمانه ، مُقبلاً على شأنه ، حافظًا للسانه .. ومَن حَسب الكلام من عمله يُوشك أن يقلّ الكلام إلا فيما يعنيه » .

ـ قال أبو ذر : بأبى وأمِّى .. فما كان فى صحف موسى ؟ قال : « كانت عِبرًا كلُّهَا :

كان فيها : عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك ، وعجبًا لمن أيقن بالموتِ كيف يفرح ، وعجبًا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها وهو يطمئن إليها ، وعجبًا لمن أيقن بالقدر ثم هو يغضب ، وعجباً لمن أيقن بالحساب غداً وهو لا يعمل ».

قال أبو ذر : قلت : بأبى وأُمِّى ، هل بَقِىَ مما كان فى صحفهما شىء ؟ قال: « نعم يا أبا ذر :﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

---

(١) أى : مسافراً .

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[1] ، قلت : بأبى وأمى أوصنى . قال : « أوصيك بتقوى الله فإنها رأسُ أمْرِكَ كلِّه » ، قال : قلت زدنى ، قال : «عليك بتلاوة القرآن ، واذكر الله كثيراً ، يذكرك فى السماء» قلت : زدنى ، قال: « عليك بالجهاد ، فإنه رهبانية المؤمنين »، قلت : زدنى ، قال : « عليك بالصمت ، فإنه مطردة للشياطين عنك ، وعونٌ لك على أمر دينك » ، قلت : زدنى ، قال : « قل الحق ولوكان مُرّاً »، قلت: زدنى ، قال : « لا تأخذك فى الله لومة لائم » ، قلت :زدنى ، قال : « صِلْ رحمك ، وإنْ قطعوك » ، قلت : زدنى ، قال : « بحسب امرئ من الشر ما يجهل من نفسه ، ويتكلف ما لا يعنيه ، يا أبا نر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ، ولا حسنَ كَحُسْنِ الخلق »[2] .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. وينفذاه حتى يُشْغلا به عن كل ما لا يعنيهما من أمور الدين والدنيا .. وحتى يكونا ـ بسبب هذا إن شاء الله ـ من أهل الرحمة .. والله ولى التوفيق .

***

---

(١) سورة الأعلى : الآيات (١٤ ـ ١٩) .

(٢) كما جاء فى شرح الحديث الثانى عشر من الأربعين النووية ـ بتصرف ـ والحديث بتمامه مع تغيير بعض الألفاظ ، رواه ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

١٠ ـ وهُمُ المؤمنون بالله واليوم الآخر : الذينَ يقولون الخيرَ ، ويكرِمونَ الجارَ والضيف

تنفيذاً لتوجيهات الرسول ﷺ فى نص حديث شريف رواه البخارى ومسلم :

ـ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيَقُلْ خيراً أو ليصمتْ ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** » .

ـ ففى هذا الحديث الشريف ـ المتفق عليه ـ يُرَغِّبنا الحبيب المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من خلال توجيهاته النورانية فى أهَمِّ ما ينبغى على المؤمن بالله واليوم الآخر أن ينفذه ، وأن يكون متخلقًا به .. وهو :

ألاّ ينطق إلا بالخير .. وإلا التزم الصمت ـ إلا عن الحق ـ وقد نقل عن **أبى القاسم القشيرى** ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال : السكوت فى وقته صفة الرجال ، كما أن النطق فى موضعه من أشرف الخصَال .. قال : وسمعتُ ابن الدقاق يقول : من سكت عن الحق فهو شيطانَ أخرس .. وكذا نقله فى «حلية العلماء » عن غير واحد ، وفى « حلية الأولياء » : أن الإنسان لا ينبغى أن يُخرِجَ من كلامه إلا ما يحتاج إليه ، كما أنه لا ينفق من كسبه إلا ما يحتاج إليه .. وقال : لو كنتم تشترون الكاغد[1] للحفظة لسَكَتُّم عن كثير من الكلام ..

---

(١) قد يكون المراد به : الورق الذى يكتب فيه الحفظة سيئاتكم .

وروى عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال : « **من فقه الرجل قلة كلامه فيما لا يعنيه** » . وروى عنه أيضاً أنه قال : « **العافية فى عشرة أجزاء .. تسعة منها فى الصمت إلا عن ذِكْر الله عز وجل** » . ويقال :

مَنْ سكَتَ كمَنْ قال فَغَنِمَ .. بل وقد ورد فى الحديث : « **رحم الله عبداً تكلم فغَنِم ، أو سكتَ فسَلِم** » .

ـ وأما عن إكرام الجار والضيف .. فقد قال القاضى عياض : معنى الحديث أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام الضيف والجار .. وقد قال ﷺ : « **ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** » .

وقال ﷺ : « **مَن آذى جاره ملّكَهُ الله دارَهُ** »(١) .

ويقع المعنى المراد من كلمة جار .. على زوجتك التى معك فى بيتك ، ويقع على أربعين داراً من كل جانب ، ويقع على من يسكن معك فى البلد .

أما الجار الملاصق القريب المسلم فله ثلاثة حقوق ، وأما الجار البعيد المسلم فله حقان ، والجار غير القريب وغير المسلم له حق واحد .

وأما عن الضيافة ، فهى من آداب الإسلام ، وخُلق النبيين والصالحين ، وقد أوجبها الليث ليلة واحدة ، واختلفوا : هل الضيافة على الحاضر والبادى ، أم على البادى خاصة ؟ .. فذهب الشافعى ومحمد بن الحكم إلى أنها على الحاضر والبادى ، وذهب مالك وسحنون إلى أنها على أهل

---

(١) أى : مَلَّكَ الله هذا الجار دار الذى آذاه .

البوادى ؛ لأن المسافر يجد فى الحضر المنازل والفنادق ومواضع النزول ، وما يُشترى من الأسواق .

فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه ؛ حتى يكونا من أهل الرحمة إن شاء الله . والله ولى التوفيق .

***

١١ ـ وهُمُ المؤمنون الحقيقيّون الذين يُحبّونَ لإخوانهمْ ما يُحبّون لأنفُسِهِمْ

تنفيذاً لما نبَّه الرسول ﷺ عليـه .. فى نص حديث شريف رواه البخارى ومسلم :

ـ عن أبى حمـزةَ أنسِ بن مـالكٍ رضي الله عنه خَـادِمِ رسـول الله ﷺ أن النبى ﷺ قال :

« لا يُؤمنُ أَحدُكُم حتّى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه » .

ـ وقـد قـال فى شرح الأربـعين الـنووية : الأوْلَى أن : يُحْـمَل ذلك على عموم الإخـوة ، حتى يشمل الكافر والمسـلم .. فيحبَّ لأخيه الكـافر ما يحب لنفسه من دخـوله فى الإسلام ، كما يُحبُّ لأخيـه المسلم دوامه على الإسلام ، ولهذا .. كان الدعاء بالـهداية للكافر مُستحَبّـاً ..وقد ثبت أن النبى ﷺ سأل الله تعالى أن يُعِزَّ الإسلام بأحد العُمرينِ : عمرو بن هشام ـ وهو أبو جهل عليه لعنة الله ـ أو عـمر بن الخطـاب .. ولكن الهداية كـانت من نصـيب عمـر بن الخطاب رضي الله عنه الذى أعزَّ الله به الإسـلام فعلاً .. يقـول ابن مسعـود رضي الله عنه : كان إسلام عمر فتحًا وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة . اهـ .

ـ والحديـث محمول عـلى نفى الإيمان الكامل عن الذى لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه .. والمـراد بالمحبـة إرادة الخير والمنفعة ، ثم المراد : المحبة الدينية

لا المحبة البشرية .. فإن الطباع البشرية قد تكره حصول الخير وتميز غيرها عليها .. والإنسان يجب عليه أن يخالف الطباع البشرية ويدعو لأخيه ، بل ويتمنى له ما يحب لنفسه .

والشخص متى لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان حسوداً .. والحسد ـ كما قال الإمام الغزالى ، عليه رحمة الله ـ ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

ـ (**الأول**) : أن يتمنى زوال نعمة الغير ، وحصولها لنفسه .

ـ (**الثانى**) : أن يتمنى زوال نعمة الغير ، وإن لم تحصل له ، كما إذا كان عنده مثلها ، ولم يكن يحبها ، وهذا أشر من الأول .

ـ (**الثالث**) : أن لا يتمنى زوال النعمة عن الغير ، ولكن يكره ارتفاعه عليه فى الحظ والمنزلة ويرضى بالمساواة ولا يرضى بالزيادة .. وهذا أيضاً محرم لأنه لم يرض بقسمة الله تعالى .. قال الله تعالى : ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾(١) ، فمن لم يرض بالقسمة ، فقد عارض الله تعالى فى قسمته وحكمته .

وعلى الإنسان أن يعالج نفسه ويحملها على الرضا بالقضاء ، ويخالفها بالدعاء لعَدُوِّه ، بما يخالف النفس .. اهـ (٢).

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى يكونا من أهل الرحمة إن شاء الله .. والله ولى التوفيق .

---

(١) الزخرف ، من الآية ٣٢ .

(٢) كما جاء فى شرح الحديث الثالث عشر من الأربعين النووية ، بتصرف وإضافات .

١٢ ـ وهُم أهلُ النَّصيحَةِ للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعَامَّتِهم

كما جاء فى نص حديث صحيح رواه مسلم :

ـ عن أبى رُقَيَّة تميم بنِ أوسٍ الدَّارىِّ ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « **الدينُ النصيحةُ** » قلنا : لمن ؟ قال : « **لله ولكتابِهِ ولرسُولِهِ ولأئمةِ المسلمينَ وعَامَّتِهِمْ** » :

ـ قال الخطابى موضحًا المعنى المراد من كل هذا : النصيحة كلمة جامعة معناها : حيازة الحظ للمنصوح له ، وقيل : النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه ، فشبَّهُوا فعل الناصح بما يتحراه من فعل المنصوح له بما يسد من خلل الثوب ، وقيل : إنها مأخوذة من نصحتُ العسل إذا صفَّيته من الشمع ، شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط .

ـ قال العلماء : فمعناها ينصرف إلى الإيمان بالله ، ونفى الشريك عنه ، وترك الإلحاد فى صفاته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع أنواع النقائص ، والقيام بطاعته ، واجتناب معصيته ، والحب فيه ، والبغض فيه ، ومودة مَن أطاعه ، ومعاداة مَن عصاه ، وجهاد مَن كفر به ، والاعتراف بنعمته وشكره عليها ، والإخلاص فى جميع

الأمور ، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة ، والحث عليها ، والتلطف بجميع الناس ، أو مَن أمكن منهم ، وحقيقة هذه الأوصاف راجعة إلى العبد فى نصحه نفسه ، والله تعالى غنى عن نصح الناصح .

ـ وأما النُّصحُ لكتاب الله تعالى : فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شىء من كلام الناس ، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته ، وتحسينها ، والخشوع عندها ، وإقامة حروفه فى التلاوة ، والذب عنه لتأويل المحرفين ، وتعرض الطاعنين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه ، والتفكر فى عجائبه ، والعمل بمُحكَمه ، والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه ، وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه ، والدعاء إليه ، وإلى ما ذكرنَاهُ من نصيحته .

ـ وأما النصيحة لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته فى أمره ونهيه ، ونصرته حيًّا ومَيِّتًا ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقته وسُنَّته ، وبث دعوته ، ونشر سنته ، ونفى التُّهَمِ عنها ، ونشر علومها ، والفقه بها ، والدعاء لها ، والتلطف فى تعلمها ، وتسليمها ، وإعظامها ، وإجلالها ، والتأدب عند قراءتها ، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومحبة

أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة مَنِ ابتدعَ فى سنته ، أو تعرض لأحد من أصحابه ، ونحو ذلك .

ـ وأما النَّصيحَةُ لأئمة المسلمين : فمعاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ، ونهيهم وتذكيرهم برفق ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وترك الخروج عليهم ، وتأليف قلوب المسلمين لطاعتهم .

ـ قال الخطابى : ومن النصيحة لهم : الصلاة خلفهم ، والجهاد معهم ، وأداء الصدقات إليهم ، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف[1] أو سوء عشرة ، وألاَّ يغرُّوا بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يُدعى لهم بالصلاح .

ـ وقال ابن بطال ـ رحمه الله تعالى ـ فى هذا الحديث : إن النصيحة تُسَمَّى دينًا وإسلاماً ، وإن الدين يقع على العمل كما يقع على القول ، قال : والنصيحة فرض: يجزئ فيه مَن قال به ، ويسقط عن الباقين ، قال : والنصيحة واجبة على قدر الطاقة إذا علم أن يقبل نصحه ، ويُطاع أمره ، وأمِن على نفسه المكروه ، فإن خشى أذى ، فهو فى وسعه ، والله تعالى أعلم .. فإن قيل : ففى صحيح البخارى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : «إذا استنصح أحدُكم أخاه فلينصح له» ، وهو يدل على تعليق الوجوب بالاستنصاح لا مُطلقًا ، ومفهوم الشرط حجة فى تخصيص عموم المنطوق ، فجوابه أنه

---

(١) الحيف : الجور والظلم (مختار الصحاح) .

يمكن حمل ذلك على الأمور الدنيوية ، كنكاح امرأة ، ومعاملة رجل ، ونحو ذلك ، والأول يحمل بعمومه فى الأمور الدينية التى هى واجبة على كل مسلم [1].. والله تعالى أعلم .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يلاحظا هذا وينفذاه على هذا الأساس الذى وَقَفَا عليه .. حتى يكونا ـ إن شاء الله تعالى ـ من أهل الرحمة . والله ولى التوفيق .

***

(١) كما جاء فى شرح الحديث السابع من الأربعين النووية ، بتصرف .

١٣ ـ وهُمُ المؤمنون الذين قالوا :
رَبّنا الله .. ثم استقاموا

كما جاء فى نص حديث صحيح رواه مسلم :

عن أبى عمرو ـ وقيل : أبى عمرةَ ـ سفيان بن عبد الله ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ؛ قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك . قال : « **قل : آمنتُ بالله ثم استقم** » .

ـ ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يشير النبى ﷺ إلى أهم ما ينبغى على المسلم أن يكون منفذاً له .. حتى يكون بهذا مسلماً لا متمسلمًا ، بل وحتى يكون بسبب هذا من الذين عرفوا بداية الطريق وحددوا معالمه .. وذلك بقول ما أمر به النبى ﷺ سائله الذى طلب منه أن يختصر له الطريق بهذا القول الجامع والمفيد .. وهو : « **قل آمنتُ بالله ، ثم استقم** » .

وقد يتصور البعض أن المراد هو مجرد ترديد هذا القول .. وإنما المراد هو تذكير نفسه بهذا الأساس الذى لابد منه .. وهو أن يكون مؤمنًا بالله رباً خالقًا رازقًا نافعًا ضاراً مُحييـاً مميتًا ..وأن يكون أيضًا فى نفس الوقت مؤكداً لإيمانه هذا بالاستقامة ، التى هى ملازمة الطريق بفعل الواجبات ، وترك المنهيات .. كما أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله للحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[1] أى : كما أُمِرتَ ونُهِيتَ .

وحسب الأخ المؤمن الذى سينفذ هذا .. أنه سيكون من المبشَّرين فى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ أى : عند الموت تبشرهم بقوله تعالى : ﴿ أَلاَّ تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ، فيقولون : وأولادنا ماذا يأكلون وما حالهم بعدنا ؟ .. فيقال لهم : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ أى : نتولى أمرهم بعدكم ، فَتَقَرّ بذلك أعينهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[2].

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا ، وينفذاه ، حتى يكونا من أهل الرحمة إن شاء الله .. والله ولى التوفيق .

***

---

(١) سورة هود : من الآية ١١٢ .

(٢) سورة فصلت ، الآيات : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

١٤ ـ وهُمُ المؤمنون الذين يفعلون البِرَّ وهُو ما اطمأنَّتْ إليه نُفوسُهم

كما جاء فى نص حديثٍ صحيحٍ رواه مسلم ، وحديثٍ حسنٍ رواه الإمام أحمد بن حنبل ، والدَّارمىُّ بإسناد حسن :

ـ فعن النَّوَّاسِ بن سمعانَ رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **البرُّ حُسْنُ الخُلقِ ، والإثْمُ ما حاكَ فى نفْسِك وكَرِهتَ أن يطّلع عليه الناسُ** »، وهذا هو الحديث الأول .

ـ وعن وابصةَ بنِ مَعْبَدٍ ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : « **جئتَ تسأل عن البِرِّ ؟** » ، قلتُ : نعم . قال : « **استفتِ قلبكَ ، البِرُّ ما اطمأنَّتْ إليه النفْسُ ، واطمأنَّ إليه القلبُ والإثم ما حاك فى النفسِ ، وتردَّدَ فى الصَّدرِ ، وإن أفتاكَ الناسُ وأفتوك** » ، وهذا هو الحديث الثانى .

ـ ففى هذين الحديثين الشريفين أشار النبى ﷺ إلى حقيقة البر .. فقال: «**البر حسن الخلق** » ، وهذا معناه أن حسن الخلق هو مفتاح كل خير .. وأنه بدون حسن الخلق سيكون الإنسان هذا مجرَّدًا من أهم صفة كان ينبغى عليه أن يكون متخلقًا بها ، أو مُمَيَّزًا بها .. ولهذا فقد قال الله ـ تبارك وتعالى ـ

مخاطبًا حبيبه المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[1] ، لأنه صلوات الله وسلامه عليه كان متخلقًا بأخلاق القرآن .. وقد ورد فى الحديث الشريف : «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا** » ، وأما عن الإثم ، فهو : « **ما حاك فى نفسك** » أى : اختلج وتردَّدَ ، ولم تطمئن النفس إلى فعله .. وفى الحديث دليل على أن الإنسان ينبغى عليه أن يراجع قلبه إذا أراد الإقدام على فعل شىء ، فإن اطمأنت إليه النفس فعله ، وإن لم تطمئن تركه ..

(ويُروى) أن آدم عليه الصلاة والسلام أوصى بنيه بوصايا ، منها أنه قال: إذا أردتم فعل شىء ، فإن اضطربت قلوبكم فلا تفعلوه ، فإنى لما دنوتُ من أكل الشجرة اضطرب قلبى عند الأكل ، ومنها أنه قال : إذا أردتم فعل شىء ، فانظروا فى عاقبته ، فإنى لو نظرت فى عاقبة الأكل ؛ ما أكلت من الشجرة ، ومنها أنه قال : إذا أردتم فعل شىء ، فاستشيروا الأخيار ، فإنى لو استشرت الملائكة ؛ لأشاروا علىَّ بترك الأكل من الشجرة .

ـ وقوله ﷺ : « **وكرهتَ أن يطلع عليه الناس** » معناه : أن الناس قد يلومون الإنسان على أكل الشبهة ، وعلى أخذها ، وعلى نكاح امرأة قد قيل أنها أُرضعت معه ، ولهذا قال ﷺ : « **والإثم ما حاك** » كيف وقد قيل ؟ وكذلك الحرام إذا تعاطاه الشخص يكره أن يطلع عليه الناس .. ومثال الحرام:

---

(١) سورة القلم ، الآية ٤ .

الأكل من مال الغير ، فإنه يجوز إن كان يتحقق رضاه ، فإن شك فى رضاه حرم الأكل ، وكذلك التصرف فى الوديعة بغير إذن صاحبها ، فإن الناس إذا اطلعوا على ذلك أنكروه عليه ، وهو يكره اطلاع الناس على ذلك ، لأنهم ينكرون عليه .

ـ وقوله ﷺ : « **ما حاك فى النفس ، وإن أفتاك الناس وأفتوك** » مثاله : الهدية إذا جاءتك من شخص غالب ماله حرام ، وترددت النفس فى حلِّها ، وأفتاك المفتى بحلِّ الأكل ، فإن الفتوى لا تزيل الشُّبهَةَ ، وكذلك إذا أخبرته امرأة بأنه ارتضع مع فلانة .. فإن المفتى إذا أفتاه بجواز نكاحها لعدم استكمال النصاب .. لا تكون الفتوى مزيلة للشبهة .. بل ينبغى الورع ـ وإن أفتاك الناس ـ والله أعلم . اهـ.(١)

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يلاحظا المراد من كل هذا ، وينفذاه .. حتى يكونا من أهل الرحمة ـ إن شاء الله ـ والله ولى التوفيق .

***

(١) كما جاء فى شرح الحديث السابع والعشرين من الأربعين النووية ، بتصرف وإضافات .

١٥ ـ وهُمُ الموفَّقُون الذين يعملون أعمال أهل الجنة

كما جاء فى نص حديث شريف رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح :

ـ عن معاذ بن جبَلٍ رضي الله عنه قال : قلتُ يا رسول الله أخبرنى بعَملٍ يُدخِلُنى الجنة ويباعدُنى عن النار ؟ قال : « لقد سألتَ عن عظيمٍ ، وإنه ليسير على مَن يَسَّرَه الله تعالى عليه : تعبد الله لا تُشرِكُ به شيئا ، وتُقيمُ الصلاةَ ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمَضانَ ، وتحجُّ البيت » ، ثم قال : ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخير؟ : « الصوم جُنَّة ، والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ ، وصلاةِ الرجلِ فى جوف الليل » ، ثم تلا قولَ الله تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] ، ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سَنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله .. قال : «رأسُ الأمرِ الإسلامُ ، وعمودُهُ الصلاةُ ، وذروة[2] سنامِه الجهادُ » ، ثم قال : ألا أخبرك بمِلاكِ ذلك كلِّه ؟

(١) سورة السجدة ، الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

(٢) ذروة الشيء : أعلاه .

قلت : بلى يا رسول الله .. فأخذ بلسانه وقال : « **كُفَّ عليك هــذا** » ، قلت : يا نبى الله ؛ وإنَّا لمؤاخـذون بما نتكلم به ؟ قـال : « **ثَكِلَتْكَ أمُك**[1] ، **وهل يَكُبُّ الناسَ فى النار عـلى وجـوههم ـ أو قـال : على مناخـرِهم ـ إلا حَـصَـائِدُ ألسِنَتِهِمْ** » ؟ .

ـ ففى هذا الحـديث الشريف ـ الذى تعـددت فيـه علامات الاسـتفـهام ـ يشير النبى ﷺ فى إجابـاته إلى أهم ما ينبغى على المؤمن أن يلاحظه .. وهو أنه بدون الاستعـانة بالله تبارك وتعالى على فعل الخـيرات ، وترك المنكرات .. فإنه لـن يستطيع أن يفـعل شيـئًا .. كـما أشار إلى هـذا قوله ﷺ : « **وإنه ليسير على مَن يـسَّره الله تعالى عليه** » ، وأيضاً كما جاء فى نص وصية أخرى ، قـال فيـها لمعـاذ بن جبل ﷺ : « **يا مُـعـاذُ والله إنى لأُحِـبُّكَ ، ثم أوصـيكَ ، لا تدعنَّ فى دُبُر**[2] **كل صـلاة تقـول : اللهم أعِنِّى على ذِكْـركَ ، وشكرِكَ ،وحُسْنِ عبادتك**[3] » وإلى هذا يشير الشاعر فى قوله :

إذَا لَمْ يَكُـنْ عَـوْنٌ مِـنَ اللهِ لِلفَـتَى ... فَـأَوَّلُ مَـا يَجْنِى علَيـهِ اجْتِـهَادُهُ

ـ ثم إذا كان النبى ﷺ قد أجـابه بعد ذلك بتلك الإجابة ـ التى هى فى مجـموعهـا أركان الإسـلام الخمسـة ـ فإن هذا معناه : أنه لا بـد أن تنفذ هذه

---

(١) أى : **فقدتك أمك** .. وتلك مـداعبـة من النبى ﷺ لمعاذ بن جـبل ـ على عادة الـعرب ـ وليست دعاء عليه .

(٢) أى : عقب كل صلاة .

(٣) الحديث رواه أبو داود بإسناد صحيح .

الأركان ، وعلى أكمل وجه .. حتى يتحقق المراد من هذا الانتماء إلى الإسلام بالمعنى الصحيح .. وإلا كان الإنسان هذا متمسلمًا .. لا مسلمًا .

ـ وإذا كان النبى ﷺ قد دَلَّهُ على أبواب الخير .. بتلك الإجابة ـ التى لا بد كذلك أن نكون من المنفذين لها ـ فإننا إن شاء الله ـ بسبب هذا التنفيذ ـ سنكون من أهل الخير .. أى : من أهل الجنة .. ولا سيما بالنسبة للصدقة التى تطفئ الخطيئة ، كما يطفئ الماءُ النارَ .. وهى أيضاً : (**تطفئ غضب الرب**)[1].

ـ وأيضاً إذا كان ﷺ قد دله على رأس الأمر ، وعموده ، وذروة سنامه .. فإنه لا بد أن يكون المؤمن منفذاً لما جاء فى إجابة الرسول ﷺ ، وهو الإسلام أولاً .. لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[2] .. وأيضًا لا بد أن يكون محافظًا على الصلوات الخمس ، وفى أوقاتها ، لأن الصلاة ـ كما جاء فى النص ـ « **عمود الدين** » الذى لا بد أن يكون متينًا حتى يكون سبباً فى متانة جميع الأركان التى بها يكتمل بناء الإسلام .. وأيضًا لا بد أن يكون مستعدًا للجهاد فى سبيل الله بالنفس والنفيس .. حتى يكون من المشار إليهم فى قول

---

(١) كما ورد فى الأثر .

(٢) آل عمران ، الآية ٨٥ .

الله تعـــالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[1] ، على شريطة أن يكون الجهاد هذا بطريقة شرعية ، لا همجية ..

ـ ثم إذا كان النبى ﷺ قد قـال ـ بعد ذلك ـ لمعاذ : « ألا أُخبرك بملاكِ ذلك كله » .. ثم أخذ بلسانه وقال : « كُفَّ عليك هذا » ، فإن هذا يشير إلى خطورة هذا اللسان الذى أشار إليه أحدهم فى قوله :

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ مِنْ لِسَانِهِ ... ولَيْسَ يَمُوتُ المرءُ مِنْ عَثْرةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيْهِ[2] تَرْمِي بِرأسِهِ ... وعَثْرَتُهُ بالرِّجْلِ تَبْرَى عَلَى المهْلِ

ـ ولهذا .. فقد قـال الرسول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : « وهل يَكُبُّ الناسَ فى النار على وجوهِهم ـ أو قال : على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم » .

وحصائد ألسنتهم : جناياتها على الناس بالوقوع فى أعراضهم ، والمشى بالنميمة ، ونحو ذلك، وجنايات اللسان : الغيبة والنميمة والكذب والبهتان ، وكلمة الكفر ، والسخرية ، وخُلف الوعد .

قال تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[3] .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا ، وينفذاه حتى يكونا ـ إن شاء الله ـ من أهل الرحمة . والله ولى التوفيق .

---

(١) التوبة ، من الآية ١١١ .

(٢) أى : من فمه .

(٣) الصف ، الآية ٣ .

١٦ ـ وهُمُ المؤمنون الأشدَّاء الذين يملكون أنفسهم عند الغَضب

تنفيذاً لوصية الرسول ﷺ فى نص حديث صحيح ، رواه البخارى :

ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رجلاً قال للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : أوصنى ، قال : « **لا تغضب** » ، فردَّدَ مِرَارًا .. قال : « **لا تغضب** » .

وذلك لأن الغضب .. كما قال سيدنا على ـ كرم الله وجهه ـ لابنه الحسن ـ عليه رضوان الله ـ محذراً إياه من الغضب : « **وإياك والغضب ؛ فإنه يُسَفِّه الحليمَ ، ويُطيش العالم ، ويُفقد معه العقل ، ويظهر معه الجهل** » ، وقد ورد فى الحديث : « **إياكم والغضب ، فإنه جمرة تتوقَّد فى فؤاد ابن آدم . ألم تر إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمر عيناه ، وتنتفخ أوداجه ، فإذا أحسَّ أحدكم بشىء من ذلك فليضطجع ، أو ليُلْصَقْ بالأرض** »[1] .

وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله علمنى علمًا يُقربنى من الجنة ويُبعدنى من النار ؟. فقال : «**لا تغضب ولك الجنة**»[2] ، وقال ﷺ :

---

(١) ورد نحو هذا فى حديث رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

(٢) رواه الطبرانى بإسنادين ، أحدهما صحيح .

« **إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلِق من النار ، وإنما يُطفئ النارَ الماءُ ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ** »[1] ، وقال أبو ذر الغفارى رضي الله عنه : قال لنا رسول الله ﷺ : « **إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب ، وإلا فليضطجع** »[2] .

وقال عيسى ـ عليه السلام ـ ليحيى بن زكريا ـ عليهما السلام : « **إنى معلمك علمًا نافعًا : لا تغضب** » فقال : وكيف لى أن لا أغضب؟ قال : « **إذا قيل لك ما فيك ، فقل : ذنب ذكرته أستغفر الله منه ، وإذا قيل لك ما ليس فيك فاحمد الله ، إذْ لم يجعل فيك ما عُيِّرْتَ به ، وهى حسنة سبقت إليك** ».

ـ هذا .. وإذا كان الرسول ﷺ قد قال : « **ليس الشديد بالصُّرْعَة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب** » رواه البخارى ومسلم وغيرهما .. فإننى أرجو من الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يكونا ـ إن شاء الله ـ من الأشداء الحقيقيين الذين يملكون أنفسهم عند الغضب ؛ حتى يكونا من أهل الرحمة إن شاء الله . والله ولى التوفيق .

***

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أبو داود ، وابن حبان فى صحيحه .

١٧ ـ وهُم أهْل الحَسَد المحمُود

وهو المشار إليه فى نص حديث شريف صحيح رواه البخارى ومسلم :

ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا حسد إلا فى اثنتين : رجلٍ آتاه الله مالاً فسلّطه على هَلَكَتِهِ فى الحق ، ورجلٍ آتاه الله الحكمة ، فهو يقضى بها ويُعلّمُها** » .

ـ ففى هذا الحديث الشريف المتفق عليه ، يشير النبى ﷺ إلى عكس الحسد المذموم ، الذى هو تمنى زوال النعمة عن المحسود ، لكى تكون من نصيبه هو ، وهو حرام ..

أما الحسد المحمود المشار إليه فى الحديث ، فهو المسمى (الغبطة) .. وهى تمنى مثل ماله ، وهو لا بأس به .. ولا يكون إلا فى شيئين :

أولهما : أن يرى إنسانًا مَنَّ الله عليه بالمال الحلال .. الذى يستعمله فى أبواب الخير المشروعة .. من إنفاق على نفسه .. وأهله .. ومن مشاركة فى أعمال الخير المتعددة التى ينبغى أن يكون من المشاركين فيها بقدر استطاعته .. لأن هذا سيكون معناه أنه من أهل الخير الذين يعملون الصالحات طمعًا فى رحمة الله تبارك وتعالى الذى يقول : ﴿ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾(١).

---

(١) البقرة ، من الآية ٢١٥ .

ويقول : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾[1] .

ـ وعن أبى ذر جُنْدُبِ بنِ جنادةَ ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، أىُّ الأعمال أفضل ؟ قال: « **الإيمان بالله ، والجهاد فى سبيله** » ، قلت : أىُّ الرقاب أفضل؟ قال: « **أَنْفَسُهَا عند أهلها وأكثرها ثمنًا** » ، قلت : فإن لم أفعل؟ قال : « **تُعين صانعًا أو تصنع لأخرق** » ، قلت : يا رسول الله : أرأيتَ إن ضَعُفْتُ عن بعض العمل ؟ قال : « **تكفُّ شرك عن الناس ، فإنها صدقة منك على نفسك** » ، متفق عليه .

ـ **ثانيهما** : أنه إذا رأى إنساناً مُوفَّقاً ، منَّ الله عليه بالعلم النافع .. الذى يقضى به ويعلّمه للناس ، فإنه لا مانع شرعًا أن يسأل الله أن يعطيه كما أعطى الأول ، حتى ينفق مثله فى أبواب الخير .. وكذلك أن يسأل الله تعالى أن يمنَّ عليه كما منَّ على الثانى ، حتى يُعلِّم الناس مثله ..

ـ فعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن مما يلحق المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته : علمًا عَلَّمه ونشره ، وولدًا صالحًا تركه ، أو مصحفًا ورَّثَهُ ، أو مسجدًا بناه ، أو بيتًا لابن السبيل بناه ، أو نهرًا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته** » ، رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، والبيهقى ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه مثله ، إلا أنه قال : « أو نهراً كَرَاهُ » وقال : يعنى : حفره ، ولم يذكر المصحف .

---

(١) سورة الزلزلة ، الآية ٧ .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يعملا ـ إن شاء الله ـ على أن يكونا من أهل الحسد المحمود ، حتى يكونا من أهل الرحمة .. والله ولى التوفيق .

***

١٨ ـ وهُم الَّذين لا يَسألُون النَّاسَ تَكثّرًا

تحاشياً لتحذيرات الرسول ﷺ التى جاءت فى نص حديث شريف ، رواه مسلم وابن ماجه :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَن سأل الناس تكثُّرًا، فإنما يسأل جمرًا ، فليستَقِلّ أو ليستكثر** » .

وذلك لأنه من المفروض على المؤمن ـ بصفة خاصة ـ أن يستغنى عن هذا بالعمل الشريف ، الذى هو خير له من المسألة .. ولا سيما إذا كان عنده ما يغنيه عنها .

ـ فعن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال : قدم عُيَيْنَة بن حِصْن ، والأقرع بن حابس رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ فسألاه ، فأمر معاوية فكتب لهما ما سألا ، فأمَّا الأقرع : فأخذ كتابه فلفَّه فى عمامته وانطلق ، وأما عُيَيْنَة : فأخذ كتابه وأتى به رسول الله ﷺ قال : يا محمد أترانى حاملاً إلى قومى كتابًا لا أدرى ما فيه كصحيفة المُتَلَمِّس[1] فأخبر معاويةُ بقوله رسولَ الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « **من سَأَلَ وعنده ما يُغنيه ، فإنما يستكثر من النار** » قال النُّفيل ـ وهو أحد رواته ـ : قالوا : وما الغنى الذى لا تنبغى معه المسألة ؟ قال : « **قَدْر ما يُغَدِّيه ويُعَشِّيه** » . رواه أبو داود ، واللفظ له ،

---

(١) هذا مثل تضربه العرب لمن حمل شيئًا ، لا يدرى هل يعود عليه بنفع ، أمْ ضُرٌّ .

وابن حبان فى صحيحه ، وقال فيه : « **مَن سأل شيئاً وعنده ما يُغنيه ، فإنما يستكثر من جمر جهنم** » ، **قالوا : يا رسول الله : وما يغنيه ؟ قال : « ما يُغدِّيه أو يُعشِّيه »** .. كذا عنده : « أو يعشيه » بألف . ورواه ابن خزيمة باختصار إلا أنه قال : قيل : يا رسول الله ؛ وما الغنى الذى لا تنبغى معه المسألة ؟ قال : «**أن يكون له شِبَع يوم وليلة ، أو ليلة ويوم**» .

ـ قال **الخطابى** : اختلف الناس فى تأويله ـ يعنى : حديث سهل ـ فقال بعضهم : مَن وجد غداء يومه وعشاءه لم تَحلَّ له المسألة ، على ظاهر الحديث ، وقال بعضهم: إنما هو فيمن وجد غداءً وعشاءً على دائم الأوقات ، فإذا كان عنده ما يكفيه لقوته لمدة طويلة ؛ حُرِّمت عليه المسألة ، وقال آخرون : هذا منسوخ بالأحاديث التى فيها تقدير الغنى بملك خمسين درهمًا ، أو قيمتها ، أو بملك أوقية ، أو قيمتها .

ـ قال **الحافظ** رحمه الله : ادعاء النسخ مشترك بينهما ، ولا أعلمُ مرجِّحًا لأحدهما على الآخر ، وقد كان الشافعى ـ رحمه الله ـ يقول : قد يكون الرجل بالدرهم غنيّاً مع كسبه ، ولا يغنيه الألفُ مع ضعفه فى نفسه ، وكثرة عياله .

وقد ذهب سفيان الثورى ، وابن المبارك ، والحسن بن صالح ، وأحمد ابن حنبل ، وإسحاق بن راهويه رحمهم الله إلى أن مَنْ له خمسون درهماً ، أو قيمتها من الذهب ، لا يُدْفَع إليه شىء من الزكاة .

وكان الحسن البصرى ، وأبو عبيدة يقولان : من له أربعون درهمًا ، فهو غنى .

وقال أصحاب الرأى ـ يعنى بهم أبا حنيفة وأصحابه ـ : يجوز دفعها إلى من يملك دون النصاب ، وإن كان صحيحاً مكتسبًا ، مع قوله : من كان له قوت يومه ؛ لا يحل له السؤال .. استدلالاً بهذا الحديث وغيره ، والله أعلم .

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ليس المسكينُ الذى تردُّهُ اللُّقمة واللقمتان ، والتمرةُ والتمرتان ، ولكن المسكين الذى لا يجد غنىً يُغنيه ، ولا يُفطن له فيُتَصَدّق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس** » رواه البخارى ومسلم .

والمراد : أنه يخفى حاجته ، ويكتمها فلا يظهر عليه أثر المسكنة ، وذلك لشرف نفسه وعفته ..

فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. وينفذاه حتى يكونا من أهل العزة والكرامة .. وحتى يكونا بذلك من أهل الرحمة إن شاء الله .. والله ولى التوفيق.

***

١٩ ـ وهُم الذين يُكْثِرون من الصَّدَقة فى السر والعلانية

تنفيذاً لما جاء فى وصية الرسول ﷺ .. التى رواها ابن ماجه :

ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فقال : **« يا أيها الناس : توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغَلُوا ، وصِلُوا الذى بينكم وبين ربِّكم بكثرة ذكركُم له ، وكثرةِ الصدقة فى السِّرّ والعلانية ؛ تُرزقوا وتُنصروا وتُجْبَرُوا »** .

ـ وذلك لأن الصدقة ـ ولا سيما إذا كانت سِراً ـ ستكون سِتْراً للمتصدق من النار يوم القيامة ؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **« يا عائشةُ استَتِرى من النار ، ولو بِشِقِّ تمرةٍ ؛ فإنها تَسُدُّ من الجائع مَسَدَّها من الشبعان »**[1] رواه أحمد بإسناد حسن .

ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« لِيَقِ أحدكم وجهَهُ النارَ ، ولو بشق التمرة »** رواه أحمد بإسناد صحيح .

ـ هذا .. بالإضافة إلى ما ورد فى هذه الأحاديث الشريفة :

---

(١) أى : تدفع عنه بعض ما يجد من مس الجوع .

ـ فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ تَصَدَّقَ بِعِدْلِ(١) تمرةٍ من كسْبٍ طيب(٢) ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يقبلها(٣) بيمينه(٤) ، ثم يُربِّيها لصاحبها كما يُربِّى أحدُكُم فَلُوَّه(٥) ، حتى تكون مثل الجبلِ** » رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه .

وفى رواية لابن خزيمة : « **إن العبد إذا تَصَدَّق مِنْ طيِّب تَقَبَّلهَا الله منه ، وأخذها بيمينه فربَّاها كما يُربِّى أحدُكم مُهْرَهُ أو فصيلَهُ(٦) ، وإن الرَّجُل ليتَصَدَّق باللقمة فتربُو(٧) فى يد الله ـ أو قال : كَفِّ الله ـ حتى تكون مثل الجبل ؛ فَتَصَدَّقُوا** » .

ـ وفى رواية صحيحة للترمذى ، قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يقبل**

---

(١) بكسر العين وفتحها ، بمعنى : النظير المساوى .

(٢) يعنى : من كسب حلال عن طريق تجارة مشروعة ، أو عن طريق عمل شريف مُتقَن .. لا عن طريق سرقة من الميزان ، أو تطفيف فى الكيل ، أو رشوة .. إلخ .

(٣) وفى بعض الروايات : يتقبلها .

(٤) فيه إثبات اليد لله عز وجل ، وهى صفة حقيقية له على ما يليق بذاته سبحانه وتعالى .. ويجب إجراء هذه النصوص على ظاهرها من غير تأويل ولا تعطيل ، مع نفى الكيفية والتشبيه عنها .

(٥) بفتح الفاء وضمها ، ويقال : فِلو بكسر ، فسكون ، وهو الجحش والمهر فُطِمَا ، أو بَلَغَا السنة .

(٦) الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

(٧) أى : تزيد وتنمو ، وهذا يحتمل أن يكون على ظاهره ، وأن الله يزيد فى اللقمة ذاتها حتى تثقل فى الميزان ، أو يراد مضاعفة الثواب عليها .

الصدقة، ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يُرَبّى أحدكم مُهْرَهُ، حتى إن اللقمة لتصير مثلَ أُحُدٍ، وتصديق ذلك فى كتاب الله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾[1] و ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾[2].

ـ فعلى الأخ المسلم، والأخت المسلمة .. أن ينتفعا بكل هذه الأحاديث الشريفة، حتى يكثرا من الصدقات التى ينبغى أن تكون سراً، حتى لا يكون فيها (مَنٌّ أو أذى)[3]، ولأن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[4] .. وذلك حتى يكونا أيضاً من أهل الرحمة إن شاء الله ..

والله ولى التوفيق.

***

---

(١) التوبة، من الآية ١٠٤.

(٢) البقرة، من الآية ٢٧٦.

(٣) كما يشير إلى هذا قول الله تعالى:
﴿ لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

(٤) البقرة، من الآية ٢٧١.

٢٠ ـ وهُمُ الذين يُطْعِمونَ الطعام ويُفْشُونَ السلام

تنفيذاً لما جاء فى حديث الرسول ﷺ الذى رواه البخارى ومسلم والنسائى:

ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجُلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلام خير ؟ قال: « **تُطْعِمُ الطعامَ، وتقرأ السلامَ على من عرفتَ ومَنْ لم تعرف** ».

ـ فالمعنى: أن تطعم الطعام .. وهو عام، يشمل الفقراء والمساكين والضيوف والإخوة ... إلخ.

وقد أشاد القرآن الكريم بهذه الخصلة.. لا سيما إطعام من هو محتاج إلى الطعام ..فقال تعالى: ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾[1]. وقال جلَّ شأنه: ﴿ **إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ** ﴾[2].

---

(١) سورة الحاقة: الآيات (٣٠ ـ ٣٤). (٢) سورة المدثر: الآيات (٣٩ ـ ٤٤).

وقال سبحانه : ﴿ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾[1]. وقال : ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[2]. وقال : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[3]. وذلك لأن إطعام الطعام أيضًا من أهم الأسباب الموصلة إلى الجنة ـ إن شاء الله ـ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام ؛ وأفشوا السلام ؛ تدخلوا الجنة بسلام** » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

ـ وعنه أيضاً رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **إن فى الجنة غُرفاً يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها** » ، **فقال أبو مالك الأشعرىّ : لمن هى يا رسول الله؟ قال : « هى لمن أطاب الكلامَ ، وأطعم الطعامَ ، وبات قائمًا والناسُ نيام** » رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما .

ـ وأما عن إفشاء السلام .. فالمراد به أن تلقى السلام على من عرفتَ ومن لم تعرف من المسلمين .. لأن هذا من حق المسلم على المسلم .. قال تعالى :

---

(١) سورة الفجر : الآيتان (١٧ ، ١٨) .

(٢) سورة البلد : الآيات (١١ ـ ١٦) .

(٣) سورة الإنسان : الآية ٨ .

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾[1] وقال: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾[2].

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولاتؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لاَ أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم** » رواه مسلم. ويستحب أن يقول المبتدئ بالسلام: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، فيأتى بضمير الجمع، وإن كان المسلَّم عليه واحدًا.. ويقول المجيب: (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته)، فيأتى بواو العطف فى قوله (وعليكم).

ـ **ومن آداب السلام**: أن يسلم الراكب على الماشى، والماشى على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير.. وفى الحديث « **إن أولى الناس بالله مَن بدأهم بالسلام** » رواه أبو داود بإسناد جيد..

ـ فعلى الأخ المسلم، والأخت المسلمة أن ينتفعا بكل هذا وينفذاه.. حتى يكونا من أهل الرحمة إن شاء الله.. والله ولى التوفيق.

***

(١) النور، من الآية ٦١.

(٢) النساء، من الآية ٨٦.

٢١ ـ وهُمُ الذين يشكرون صانع المعروف ويُكَافئُونه أو يدعون له حتى يعلموا أنهم قد كافأوه

كما أوصى النبى ﷺ بهذا فى نص حديث شريف رواه أبو داود والنسائى ، واللفظ له ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما :

ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَن استعاذ بالله فأعيذوه(١) ، ومن سألكم بالله فأعطوه(٢) ، ومَنِ استجار بالله فأجيروه ، ومَن أتى إليكم معروفاً فكافئوه(٣) ، فإن لم تجدوا فادعوا له(٤) حتى تعلموا أن قد كافأتموه** » رواه الطبرانى فى الأوسط مختصراً ، قال : « **من اصطنع إليكم معروفاً فجازوه ، فإن عجزتم عن مجازاته ، فادعوا له ، حتى تعلموا أن قد شكرتم ، فإن الله يحب الشاكرين** » ،

---

(١) أى : من طلب منكم الإعاذة وهى الإجارة والحماية من ضرورة نزلت به ، أو حاجة حلَّت به ، أو ظُلم ناله ؛ فأعيذوه .. يعنى : فأعينوه ، وأغيثوه ، فإن إغاثة الملهوف واجبة .

(٢) أى : من طلب منكم شيئًا من الدنيا أو الآخرة بالله فأعطوه ما سأل ، إجلالاً لمن سألكم به .. إذا كان يستعين به على طاعة الله .. وإن كان على معصية فلا يُعْطَى .

(٣) أى : جازوه عليه بمثله .

(٤) أى : كرروا الدعاء له بدليل قوله ﷺ : « حتى تعلموا أن قد كافأتموه » .

وذلك حتى يكون هناك ارتباط بين المسلمين عن طريق هذا الشكر الذى ينبغى أن يكون إيجابياً بمعنى أن يُشعِر أخاه المسلم أنه يعترف بجميله عليه .. وهو يسأل الله سبحانه وتعالى أن يثيبه عليه .. وفى الحديث :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لا يشكر الله من لا يشكر الناسَ** » رواه أبو داود والترمذى ، وقال : صحيح.

ـ وعن أنس رضي الله عنه قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كُلِّه ، ما رأينا قومًا أحسن بذلاً لكثير ، ولا أحسنَ مُواساةً[1] فى قليل منهم ، ولقد كفونا المؤنة[2] ، قال : «**أليس تُثْنون عليهم به، وتدعون لهم ؟** » قالوا : بلى : قال : « **فذاك بذاك**[3] » . رواه أبو داود والنسائى ، واللفظ له .

ـ مع ملاحظة : أن المعروف الذى سيبذله المؤمن لأخيه سيكون معناه الترابط المشار إليه فى قول الله تعالى :

﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾[4] وفى الحديث:

---

(١) يعنى : مساعدة ومعاونة .

(٢) أى : الحاجة .. فلقد أوسعوا لإخوانهم المهاجرين فى دورهم ، ونزلوا لهم عن شطر أموالهم ونسائهم ، وكانوا يأبون أن يأخذوا من المغنم شيئاً حتى يستغنى إخوانهم المهاجرون .. وقد مدحهم الله تعالى بقوله : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (الحشر ، من الآية ٩) .

(٣) يعنى : أن ثناءكم عليهم ودعاءكم لهم بالخير والبركة يكافئ ما يبذلونه لكم ، ويواسونكم به.

(٤) التوبة : من الآية ٧١ .

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا »(١) .

ولقد قال ابن مسعود رضي الله عنه : « صاحب المعروف لا يقع ، وإن وقع وَجَد مُتَّكَأً» .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه مع إخوانهم المحتاجين .. حتى يكونا ـ بسبب هذا المعروف ـ من أهل الرحمة إن شاء الله .. والله ولى التوفيق .

***

(١) رواه مسلم .

٢٢ ـ وهُمُ الذين يتعلَّمُون القــرآنَ ويُعلِّمونَــهُ

تحقيقاً للخيرية المشار إليها فى نص حديث شريف ، رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود والترمذى ، والنسائى وابن ماجه وغيرهم :

ـ عن عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : «خيركم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه» .

ـ ففى هذا الحديث : الحث على تعلم القرآن وتعليمه ..

وقد سئل الثورى ـ رحمه الله ـ عن الجهاد وإقراء القرآن ؟ .. فرجَّحَ الثانى ، واحتج بهذا الحديث ـ قاله فى الفتح .

وذلك لأن القرآن العظيم هو كلام الله الذى أنزله وَحْياً بواسطة الرُّوح الأمين[1] على قلب عبده ورسوله محمد ﷺ لِيُنْذِرَ به مَن كان حيّاً ويحق القول على الكافرين ، وليخرج به الناسَ من الظلماتِ إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، فلن يتقرب متقرب إلى الله بأحب إليه من تلاوة القرآن ، وتدبره ومدارسته ، ثم تعليم ذلك لغيره .

ـ قال الشرقاوى : لا ريب أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل

---

(١) هو سيدنا جبريل عليه السلام . قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾ . (الشعراء : ١٩٣).

لنفسه ولغيره ، جامع بين النفع القاصر ، والنفع المتعدِّى .. لا يُقال إن من لازم هذا أفضلية المقرى على الفقيه ، لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء الناس .. إذ كانوا يدرون معانى القرآن بالسليقة أكثر من دراية مَن بعدَهُم بالاكتساب ، (وخيركم) فى الحديث ، أفعل تفضيل بمعنى : أخيركم ، أى : أكثركم نفعًا وأرفعكم منزلة .

وتعلم القرآن يدخل فيه حفظه وتجويده ، وإقامة حروفه وإعرابها، ويدخل فيه كذلك مدارسته وتفهم معانيه ، وتدبر آياته ، ومعرفة المقاصد الأساسية التى نزل من أجلها ، ومعرفة أحكامه وحلاله وحرامه .. إلخ .

ـ وقد ورد الترغيب فى كل هذا الخير :

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ما اجتمع قوم[1] فى بيت من بيوت الله[2] يتلون كتاب الله[3] ، ويتدارسونه فيما بينهم[4] ، إلا نزلت عليهم السكينة[5] ، وغَشِيَتْهُم الرحمة[6] ، وحَفَّتْهُم**

---

(١) القوم : الجماعة من الناس ، وجمعه : أقوام .

(٢) بيوت الله سبحانه فى أرضه هى المساجد .. كما قال تعالى : ﴿ **فى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ** ﴾ . (سورة النور : من الآية ٣٦) .

(٣) والتلاوة معناها القراءة باللسان .

(٤) يعنى : يتدبرون معانيه ويتفهمون أغراضه ومراميه .

(٥) يعنى : ينزل عليهم السكون والطمأنينة .

(٦) يعنى : عمتهم وأحاطتهم .

الملائكة[1]، وذكرهم الله فيمن عنده[2] » رواه مسلم ، وأبو داود وغيرهما .

ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « الماهر[3] بالقرآن مع السفرة الكرام البررَة[4] ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه[5] ، وهو عليه شاقٌ : له أجران » وفى رواية : « والذى يقرأه ، وهو يشتد عليه[6] له أجران » رواه البخارى ، ومسلم ، واللفظ له ، وأبو داود والترمذى والنسائى ، وابن ماجه .

ـ وعن أبى ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أوصنى ، قال : « عليك بتقوى الله ، فإنها رأس الأمر كلِّه » قلت : يا رسول الله زدنى : قال : « عليك بتلاوة القرآن ، فإنه نور لك فى الأرض ، وذُخْر لك فى السماء » رواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث طويل .

ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُقال لصاحب القرآن : اقرأ وارْقَ[7] ، ورتِّل[8] كما كنت تُرتِّل فى

---

(١) أى : أحدقت بهم وجلست حولهم .

(٢) يعنى : أثنى عليهم سبحانه فى الملأ الأعلى ، تنويهًا بفضلهم وعلو درجتهم .

(٣) أى : الحاذق الكامل الحفظ الذى لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه .

(٤) أى : الملائكة الذين يسفرون إلى الناس برسالات الله .

(٥) أى : الذى يتردد فى تلاوته لضعف حفظه وإتقانه وكثرة تلاوته له أجران : أجر بالقراءة ، وأجر بتعتعته فى تلاوته ومشقته .

(٦) أى : تثقل عليه القراءة .

(٧) أمر من الرقى وهو الصعود .

(٨) والترتيل هو القراءة بتؤدة وتمهل .

الدنيا ، فإن منزلتكَ عند آخر آية تقرأها » رواه الترمذى ، وأبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يعملا ـ وبكل إخلاص ـ على أن يكونا من أهل القرآن المنتفعين به .. حتى يفوزا بذلك الخير ـ المشار إليه فى الحديث الشريف ـ وحتى يكونا بذلك من أهل الرحمة .. إن شاء الله .. والله ولى التوفيق .

***

٢٣ ـ وهُمُ الذين يُكثِرون من ذِكر الله تعالى سِراً وجَهرًا

أملاً فى تحقيق ما جاء فى حديث الرسول ﷺ الذى رواه البخارى ومسلم ، والترمذى والنسائى وابن ماجه(١) :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقول الله : أنا عند ظن عبدى(٢) بى ، وأنا معه(٣) إذا ذكرنى(٤) ، فإن ذكرنى فى نفسه(٥) ذكرته فى نفسى(٦) ، وإن ذكرنى فى ملأ(٧) ذكرته فى ملأ خيرٍ منهم(٨) ، وإن تَقَرّبَ إلىّ شبراً(٩) تقرّبتُ إليه ذِراعاً(١٠) ، وإن**

---

(١) ورواه أحمد بنحوه بإسناد صحيح ، وزاد فى آخره قال قتادة : (والله أسرع بالمغفرة) .

(٢) أى : أعامله بحسب ظنه بى ، فإن ظن أننى سأغفر له غفرت له .. وإن ظن عكس ذلك فكذلك .

(٣) يعنى بالتوفيق والمعونة والرعاية والهداية ، وهى معية خاصة .. غير المعية المشار إليها فى قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] فإنها معية علم وإحاطة .

(٤) بأى نوع من أنواع الذكر .. الذى أفضله القرآن .

(٥) أى : سراً بحيث لا يسمعه أحد .

(٦) أى : سرّاً دون ان أُعلم بذلك أحداً .

(٧) أى : فى جماعة جهراً .

(٨) وهو الملأ الأعلى ، يعنى : الملائكة .

(٩) أى : فعل مما أحبه ما يقربه منى مقدار شبر .

(١٠) أى : فعلت به من القبول والرحمة والثواب ما يساوى ذلك .

تقرب إلىّ ذراعًا تقربتُ إليه باعًا(١) ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة »(٢) .

ـ وعن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه أن رجُلاً قال : يا رسول الله : إن شرائع الإسلام قد كَثُرت ، فأخبرنى بشىء أتشبَّث به(٣) . **قال : « لا يزال لسانك رَطْبًا من ذِكْرِ الله(٤) »** رواه الترمذى ، واللفظ له ، وقال : حديث حسن غريب ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

ـ وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« ألا أُنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخيرٍ من إنفاق الذهب والوَرِق(٥) ؟ » قالوا : بلى . قال : « ذِكْرُ الله ». قال معاذ : ما شىء أنجى من عذاب الله من ذِكْر الله »** رواه أحمد بإسناد حسن ، وابن أبى الدنيا والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقى ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يكثرا من ذكر الله تعالى سرًّا وجهرًا(٦) .. حتى يفوزا بكل هذا الخير .. وحتى يكونا ـ إن شاء الله ـ من أهل الرحمة .. والله ولى التوفيق.

---

(١) الباع هو مقدار مَدِّ اليدين . (٢) أى : إسراعاً .

(٣) أى : أتعلق .

(٤) أى : لا يزال يلهج به ويردده ، حتى يجرى مع ريقه .

(٥) الورق (بكسر الراء) : الدراهم المضروبة من الفضة .

(٦) والجَهر هذا لا يكون فى بيوت الله ، حتى لا تشوش على المصلين .. اللهم إلا إذا كان على سبيل التعليم .. فإنه سيكون جائزاً .

٢٤ ـ وهُمُ الذين يجتمعون على ذكْر الله تعالى

أملاً فى الفوز بمغفرة الله تبارك وتعالى ، كما جاء فى حديث شريف :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن لله ملائكة(١) يطوفون فى الطُرُقِ يلتمسونَ أهل الذكر(٢) ، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادَوْا هَلُمُوا إلى حاجتكم(٣) فيحفُونَهُم(٤) إلى السماء الدنيا . قال : فيسألهم ربهم(٥) - وهو أعلم بهم(٦) ـ : ما يقول عبادى؟ قال : يقولون : يُسَبِّحونَك ، ويُكبِّرونك ، ويَحْمدونَك ، ويمَجِّدونك(٧) . قال : فيقول : هل رآوْنى ؟ قال : فيقولون : لا والله يا رب ما رأوك . قال : فيقول : كيف لو رأونى(٨) ؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لكَ تمجيدًا ، و أكثر لك تسبيحًا . قال:**

---

(١) أى : وهم ملائكة مختصون بذلك .. والله أعلم .

(٢) أى : يبحثون ويفتشون عن مجالس الذكر .

(٣) أى : أقبلوا على بغيتكم .

(٤) يعنى : يجلسون حولهم ويحيطون بهم .

(٥) أى : أنهم بعد أن يفرغ الذاكرون من ذكرهم يصعدون إلى الله عز وجل ، فيسألهم .

(٦) جملة اعتراضية ، قُصد بها نفى تَوَهُّم أن يكون السؤال من الله تعالى استخبارًا عن حالهم .

(٧) أى : تلهج ألسنتهم بذِكْرك ، فمرة يسبحون ، ومرة يُكبرون ... إلخ .

(٨) يعنى : إذا كانوا يجتهدون فى ذكرى من غير أن يرونى ، فكيف يكون حالهم لو رأونى ؟.

فيقول : فما يسألونى(١) ؟ قال : يقولون : يسألونك الجنة . قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها . قال : فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها ، كانوا أشدَّ عليها حرصًا ، وأشدَّ لها طلباً ، وأعظم فيها رغْبةً . قال : فيقول : فَمِمَّ يتعوذون(٢) ؟ قال : يقولون : يتعوّذون من النار . قال: فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها . قال : فيقول : فكيف لو رأوها؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ منها فِرَارًا ، وأشدَّ لها مخافة. قال : فيقول : أُشْهِدكُم أَنِّى قد غفرت لهم (٣) .قال : يقول مَلَكٌ من الملائكة : فيهم فلانٌ ليس منهم ، إنما جاء لحاجة(٤) . قال : هم القوم لا يَشْقَى بهم جَلِيسُهُم(٥)» . رواه البخارى ، واللفظ له .

ورواه مسلم ولفظه قال :

« إن لله تبارك وتعالى ملائكةً سيّارَةً(٦) فُضَلاء(٧) يبتغُون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكْر قعدوا معهم ، وحفَّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء ،

---

(١) يعنى : فأى شىء يطلبون منِّى .

(٢) أى : من أى شىء يستجيرون بى ، ويلجأون إلىَّ ؟ .

(٣) وهذا على سبيل التنويه بشأنهم فى الملأ الأعلى ..

(٤) أى : من حاجات الدنيا ، ولم يقصد الذِّكْر .

(٥) أى : لا يشقى مَنْ صَحِبهُم ، واجتمع بهم .

(٦) وفى رواية : (سياحين فى الأرض) .

(٧) أى : زائدين ـ على الحفظة الكرام الكاتبين ـ فى الفضل .

فإذا تفرّقوا عرجوا وصَعِدُوا إلى السماء . قال : فيسألهم الله عز وجلّ ـ وهو أعلم ـ من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك فى الأرض يُسَبِّحونكَ ويكبّرونكَ ويُهَلّلُونك ويَحمدونك ويَسألونك . قال : فما يسألونى ؟ قالوا : يسألونك جنتك . قال : وهل رأوْا جَنّتى ؟ قالوا : لا يا رب . قال: وكيف لو رأوا جَنّتى؟. قالوا : ويَسْتجيرُونك(١) قال : ومِمّ يستجيرونى ؟ قالوا : من نارِكَ يا ربّ. قال : وهل رأوْا نارِى ؟ قالوا : لا يا ربّ . قال : فكيف لو رأوْا نارِى؟ قالوا : ويستغفرونك . قال : فيقول : أعطيتُهم ما سألوا ، وأَجَرْتُهم مما استجاروا. قال : يقولون : ربّ فيهم فلان ، عَبْدٌ خَطّاء ، إنما مَرّ فجلس معهم. قال : فيقول: وله غفرتُ(٢) ، هم القوم لا يَشْقَى بهم جَليسُهُم » .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن ينتفعَا بما جاء فى هاتين الروايتين .. حتى يحرصا على أن يكونا من المجتمعين فى مجالس الذكر الصحيح ، الذى لا تحريف فيه ولا تخريف ، وحتى يكونا ـ إن شاء الله تعالى ـ من الذين سيغفر الله تعالى لهم .. بل وحتى يكونا ـ إن شاء الله ـ من أهل الرحمة .. والله ولى التوفيق .

***

---

(١)أى : يطلبون منك أن تجيرهم وتحميهم .. فالسين والتاء للطلب .

(٢) إكرامًا لجلوسه معهم ، وصحبته إياهم .

٢٥ ـ وهُمُ الذين لا يجلسون فى المجالس التى لا يُذكَر اللَّهُ تعالى فيها

حتى لا يقعوا فى هذا المحظور المشار إليه فى حديث شريف رواه أبو داود والترمذى ، واللفظ له ، وقال : حديث حسن ، ورواه بهذا اللفظ ابن أبى الدنيا ، والبيهقى :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ما جلَس قومٌ مجلسًا لم يذكروا الله فيه(١) ، ولم يُصلّوا على نبيّهم إلا كان عليهم ترةً ،(٢) فإن شاء عذّبَهُم ، وإن شاءَ غفَر لهم** ».

ولفظ أبى داود ، قال : « **من قَعد مَقْعَدًا(٣) لم يذكر الله فيه ، كان عليه من الله ترَةً، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترةٌ ، وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه إلا كان عليه من الله ترَةً** » رواه أحمد ، وابن أبى الدنيا ، والنسائى ، وابن حبان فى صحيحه ، كلهم بنحو أبى داود.

---

(١) أى : أن المجلس هذا كان خالياً من ذكر الله ، والصلاة على رسول الله ﷺ ، وكان مجلس لغو باطل لا خير فيه .

(٢) أى : نقص وحسرة .

(٣) وهذا يشمل ما إذا قعد وحده أو كان فى جماعة فهو أعم من الرواية الأولى .

ـ وعلى هذا ، فـإننى أنصح الأخ المسـلم ، والأخـت المسـلمـة .. بأن لا يجـلسـا فى مجلس لا يُذكر الله تـعالى فيـه .. ولا يُصَلَّى على النبى ﷺ فيـه ، حتى لا يكون عليهمـا ترةٌ من الله . وكذلك .. فإنه يُسنُّ لكل منهـما إذا أخذ مضجعه أن يذكر الله ـ عز وجل ـ قبل نومه ، كما كان يفعل رسـول الله ﷺ .. فقـد ورد أنه كان يقول إذا أخـذ مضجـعه : « **اللهم باسمك أضع جنبى ، وباسمك أرفعه ، وبك أحيا وبك أموت** » . وكان يقول : « **اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك** » . وعَلَّم بعض أصحابه إذا أخذ مـضجعه أن يقول : « **اللهم إنى أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك ، وفوضتُ أمرى إليـك ، وألجأت ظهرى إليـك ، رغبـة ورهبـة إليـك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتـابك الذى أنزلت ، ونبـيك الذى أرسلت**»[1] . وذلك حتى لا يقـعا فى هذا النقص ـ المشار إليـه فى الروايتين ـ بل وحتى يكونا من أهل الرحمة ـ إن شاء الله تعالى ـ والله ولى التوفيق .

***

(١) كل هذا ورد فى كتب السنة الصحيحة .

٣٦ ـ وهُمُ الذين يُكَفِّرون عن اللَّغطِ الذِى كَثُرَ فِى مَجَالِسِهِمْ

بكلماتٍ جاءت فى حديثٍ شريفٍ ، رواه أبو داود والترمذى ، واللفظ له، والنسائى ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح غريب :

ـ عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **مَنْ جَلَسَ مجلسًا كثُر فيه لَغَطُه**(١) **، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك :**(٢)**سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوبُ إليك : إلاَّ غُفِر له ما كان فى مجلسه ذلك** »(٣) :

ـ وعن أبى بَرْزَةَ الأسلمىِّ ﷺ ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلسًا يقول بآخره(٤) إذا أراد أن يقوم من المجلس : « **سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك** » ، فقال رجل :

---

(١) وهو سقط الكلام ولغوه .

(٢) أى : قالها عند قيامه من المجلس فجعلها خاتمة كلامه .

(٣) لا شك أن من قال هذه الكلمات مع الفهم والاعتقاد بمضمونها كانت توبة صحيحة ، وكان حرياً بأن يغفر الله له ما فرط منه فى مجلسه .. على شريطة أن لا يكون قاصداً هذا اللغط وحريصًا على فعله .. (والعياذ بالله) .

(٤) أى : آخر كل مجلس .

يا رسول الله : إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى[1]؟ فقال : «**كَفَارةٌ لما يكون فى المجلس**» رواه أبو داود .

ـ وعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ بأَخَرةٍ[2] إذا اجتمع إليه أصحابه ، فأراد أن ينهض ، قال : « **سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنتَ ، أستغفرك وأتوب إليك ، عملتُ سوءًا وظلمتُ نفسى ، فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** » قال : **قلنا : يا رسول الله إن هذه كلمات أحدثتهن ؟ قال : « أجل ، جاءنى جبريل ، فقال : يا محمدُ هُنّ كفارات المجلس** ». رواه النسائى ، واللفظ له ، والحاكم وصححه ، ورواه الطبرانى فى الثلاثة ـ باختصار ـ بإسناد جيد .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن ينتفعا بهذه الكفارة التى ينبغى عليهما أن يستعملاها فى ختام المجلس .. حتى يكونا ـ بذلك ـ من أهل الرحمة ، إن شاء الله . والله ولى التوفيق .

***

---

(١) أى : لم نكن نسمعك تقوله قبل ذلك .

(٢) أخرة : آخِر . والمراد : فى آخر مجلسه .

٢٧ ـ وهُمُ الذين يُكثِرُون من قَول
« لا إله إلا اللَّهُ »

حتى يكونوا من أهلها ، ومن الفـائزين بشفاعة الرسول ﷺ بسـببها ..

كما جاء فى نص حديث صحيح رواه البخارى :

ـ عن أبى هـريرة رضي الله عنه قـال : قلتُ : يا رسـولَ الله من أسـعـدُ الناسِ بشفاعتك يومَ القيامة(١)؟ قال رسول الله ﷺ : « **لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسـألنى عن هذا الحديث أحدٌ أولَ منكَ ، لما رأيتُ من حِرصِكَ على الحديثِ : أسعـد الناسِ بشفـاعـتى يومَ القيـامة مَن قـال : لا إله إلا الله ، خالصًا من قلبه أو نفسِه**(٢) ».

ـ وذلك لأن (لا إله إلا الله) هى كلمة التوحيـد التى معناها : (لا معبود بحق إلا الله) ، وهى التى بعث الله من أجلها الرسل ، وأنزل الكتب ، وجعلها فارقة بين الإيمان والكفر ، وبين أهل السـعادة وأهل الشقاوة .. فهى الأساس

---

(١) يعنى : من أحق الناس وأولاهم وأكثرهم سعادة بشفاعتك التى ستكون لأهل الكبائر من أمتك يوم القيامة .

(٢) يعنى : مَنْ قالها بلسانه مع اعتقاد القلب لمضمـونها ، ومع العمل بمقتضاها ، فتكون عبادته كلها لله .

الذى لا يقبل الله من أحد عملاً ، إلاَّ إذا بُنِىَ عليها ، وهى القطب الذى لا تدور رَحَى الشريعة إلاَّ به ، وهى زبدة رسالات الرسل ، وخلاصة دعوتهم ، ومُفتتَحُ كلامهم ؛ فما أُرسِل أحد منهم إلى قومه ، إلا كان التوحيد أول ما يدعوهم إليه .. وهى كلمة التقوى التى ألزمها الله حزبه وأولياءه ، وحَرَمَ منها أعداءَه .. وقد جمعت هذه الكلمة العظيمة ـ التى هى عنوان الإسلام ـ بين النفى والإثبات ، فنفت ـ بصدرها ـ الألوهيَّة عن كل ما سوى الله عز وجل ، وأعلنت البراءة من كل معبود باطل ، وأثبتَتْ ـ بعَجُزِهَا ـ الألوهيَّة لله وحده .. ولهذا قالوا فى تفسيرها : لا معبود بحق فى الوجود كُلِّه إلا الله .. فهى فى معنى قول مؤسس الحنيفيَّةَ إبراهيم خليل الرحمن لقومه :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِى بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾(١).

ـ وعن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **مَن شهد**(٢) **أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسولُهُ ، وكلمتُه التى ألقاها إلى مريمَ ، وروحٌ منه ، والجنة حَق ، والنار حَق : أدخله الله الجنة على ما كانَ من عمل**(٣) »

---

(١) سورة الزخرف : من الآيتين ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) أى : أقرَّ واعترف بلسانه ، مع العلم بما يشهد به واعتقاده لمضمونه .

(٣) يعنى : على حسب عمله ، فتكون درجته فى الجنة على قدر ذلك ، أو المراد : أدخله الله الجنة أيّاً كان عمله .

زاد عبادة : « من أبواب الجنة الثمانية أيّها شاء » رواه البخارى ومسلم ، واللفظ له .

ـ وفى رواية لمسلم والترمذى : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار » .

ـ مع ملاحظة : أن التلفظ بكلمة التوحيد سبب يقتضى دخول الجنة والنجاة من النار ، بشرط أن يأتى بالفرائض ، ويجتنب الكبائر ، فإن لم يأتِ بالفرائض ، ولم يجتنب الكبائر ؛ لم يمنعه التلفظ بكلمة التوحيد من دخول النار .. والله أعلم(١).

ـ وروى عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله مخلصاً ؛ دخل الجنة » . قيل : وما إخلاصها ؟ قال : « أن تحجزه عن محارم الله » رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفى الكبير ، إلا أنه قال : (أن تحجزه عما حرم الله عليه) .

ومعنى (أن تحجزه) : أى أن تمنعه وتكفه عن ارتكاب المعاصى وغشيان الفجور .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يفهما المراد من هذا التذكير وأن ينفذاه حتى يكونا من أهل كلمة التوحيد .. بل وحتى يكونا من أهل الرحمة إن شاء الله .. والله ولى التوفيق .

---

(١) كما جاء فى الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٢ ، ٦ .

٢٨ ـ وهُمُ الذين يُكثرون من التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد على اختلاف أنواعه

حتى يفوزوا بثواب كل هذا .. كما جاء فى حديث شريف صحيح ، رواه البخارى ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم** » .

ـ ففى هذا الحديث : الحث على المواظبة على هذا الذكر ، والتحريض على ملازمته .. لأن جميع التكاليف شاقة على النفس .. وهذا سهل ..ومع ذلك يثقل فى الميزان .. ففيه تنبيه على سعة رحمة الله تعالى .. حيث يجازى على العمل القليل ، بالثواب الجزيل .

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لأن أقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر : أحبُّ إلىَّ مِمَّا طلعت عليه الشمس** » .رواه مسلم والترمذى .

ـ وهذه الكلمات الأربع ، هى مقول القول ، وبدأها بـ (سبحان الله) ،

لأنها كلمة التنزيه التى تدل على نفى كل نقص وعيب لا يليق بجلاله ، ثم عقبها بكلمة (الحمد) الدالة على ثبوت جميع الكمالات له ، ثم ثَلَّثَ بكلمة (التهليل) الدالة على نفى الألوهية عما سواه ، وإثباتها له وحده ، ثم ختم بكلمة (التكبير) التى تدل على صغَر الأشياء كُلِّها إلى جنب عظمته وكبريائه .. ولهذا ورد أن هذه الكلمات الأربع هى الباقيات الصالحات[1] .

ـ ومن جوامع التسبيح ، والتحميد ،والتهليل ، والتكبير ، ورد :

ـ عن جُوَيْرِيَةَ رضي الله عنها : أن النبى ﷺ خرج من عندها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة ، فقال : « **ما زِلْتِ على الحال التى فارقتُكِ عليها ؟** » قالت : نعم . قال النبى ﷺ : « **لقد قلتُ بَعْدَكِ أربعَ كلماتٍ ثلاثَ مراتٍ ، لو وُزِنَتْ بما قلْتِ منذ اليوم لوزنَتْهُنَّ : سبحان الله وبحمده ، عددَ خَلْقِه ، ورِضَا نَفْسِه ، وزِنَةَ عَرْشِه ، ومِدَادَ كَلِمَاتِه** » رواه مسلم وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والترمذى .. وفى رواية لمسلم :

ـ « سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضاء نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » .

وزاد النسائى فى آخره : « والحمد لله كذلك[2] » .

---

(١) كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿ **وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا** ﴾ (مريم من الآية ٧٦ فارجع إلى تفسيرها).

(٢) أى : مثل سبحان الله بأن يقول :(الحمد لله عدد خلقه ، الحمد لله رضاء نفسه ، الحمد لله زنة عرشه ، الحمد لله مداد كلماته) ثلاث مرات .

وفى رواية له : « سبحان الله وبحمده ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزِنَةَ عرشه ، ومداد كلماته » .

ولفظ الترمذى : أن النبى ﷺ مَرَّ عليها وهى فى المسجد[1] ، ثم مَرَّ بها وهى فى المسجد قريبَ نصفِ النهار ، فقال : « ما زِلْتِ على حَالِك ؟ » فقالت : نعم ، فقال : « أُعلِّمكِ كلمات تقولينها : سبحان الله عدد خَلْقِه ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله عدد خلقه : ثلاث مرات ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله رضا نفسه : ثلاث مرات ، وذكر زنة عرشه ، ومداد كلماته : ثلاثًا ثلاثًا » .

وقال : حديث حسن صحيح ، وفى رواية للنسائى ، تكرار كل واحدة ثلاثاً أيضًا.

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه .. حتى يفوزا بكل هذا الخير .. بل وحتى يكونا ـ إن شاء الله ـ من أهل الرحمة.

والله ولى التوفيق .

***

(١) أى : بعد صلاة الصبح .

٢٩ ـ وهُمُ الذين يُكثرون من قول

« لا حول ولا قوة إلا بالله »

فإنها كنز من كنوز الجنة .. كما جاء فى نص حديث رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه:

ـ عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال له : « **قل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة** » .

ـ وإنما كانت هذه الكلمة كذلك ؛ لما تدل عليه من الاستسلام والتفويض المطلق لله ، والاعتراف بفضله فيما يمد به العبد من الحول والقوة ، ولولا ذلك لكان له العجز المطلق عن أى تصرف .. وفى رواية البخارى : « **ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة** » ...

ـ ولأنها تنفى عن قلب العبد الغرور ، وتملأهُ بالثقة فى الله ، والاعتماد عليه ، والاعتراف بفضله فى كل ما يقوم به العبد ، فإنه لم يكن ليقوم به لولا فضل الله عليه ، وإسناده إياه بما له من حول وقوة يتصرف بهما ..

ـ ومعنى أنها كنز من كنوز الجنة .. أى : توجب لصاحبها الجنة .

ـ وعن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ليلةَ أُسْرِىَ به مَرَّ على إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقال : مَن معك يا جبريل ؟ قال : هذا محمد ، فقال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام : يا مُحمدُ مُرْ أُمَّتَكَ فليُكثروا

من غراس الجنة ، فإن تُربتها طيبة ، وأرضها واسعة . قال : وما غراسُ الجنة ؟ قال : « **لا حول ولا قوة إلا بالله** » رواه أحمد بإسناد حسن ، وابن أبى الدنيا، وابن حبان فى صحيحه .

ـ فـعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمـة .. أن يكثـرا من هذا الغـراس .. الذى هو أيضاً من كنوز الجنة.. وحتى يكونا ـ إن شـاء الله ـ من أهل التفويض المطلق لله .. بل وحتى يكونا من أهل الرحمة إن شاء الله . والله ولى التوفيق .

***

٣٠ ـ وهُمُ الذين يُكثِرون من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذلك حتى يُصَلِّى الله عليهم .. كما جاء فى نص حديث شريف رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، والترمذى ، وابن حبان فى صحيحه :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**مَن صلّى علَىَّ صلاةً واحدةً ، صلى الله عليه عشرًا**[1] » ، وفى بعض ألفاظ الترمذى : « مَن صَلَّى علَىَّ مَرَّةً واحدة كتب الله له بها عشر حسنات ».

ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **مَنْ ذُكِرتُ عنده ، فَلْيُصَلِّ علىَّ ، ومَن صلّى علىَّ مَرّةً ، صلى الله عليه بها عشرًا** ».

وفى رواية : « **مَن صلّى علىَّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه عشر صلواتٍ ، ويَحُطُّ عنه بها عشر سيئاتٍ ، ورفعه عشر درجاتٍ** » رواه أحمد والنسائى واللفظ له ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ولفظه :

قال رسول الله ﷺ : « **مَن صلّى علىَّ صلاة واحدةً صلّى الله عليه عشرَ صلواتٍ ، وحَطَّ عنه عشر خطيئات** ».

---

(١) أى : عشر صلوات ، وذلك أن الحسنة بعشر أمثالها ، والصلاة على النبى ﷺ من أعظم الحسنات .

ـ وأفضل الصيغ التى ينبغى أن يُصلَّى على النبى ﷺ بها : الصيغة الإبراهيمية التى علَّمها رسول الله ﷺ لأصحابه .. فقد روى ابن أبى ليلى عن كعب بن عجرة ، قال : قيل يا رسول الله قد علمنا ـ أو قد عرفنا ـ كيف السلام عليك ، فكيف الصلاة ؟ قال : « **قولوا : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليتَ على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد** » وروى مسلم بسنده عن أبى مسعود الأنصارى قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن فى مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله ، فكيف نصلى عليك ؟ قال : فسكت رسول الله ، حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ : « **قولوا : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم ، فى العالمين ، إنك حميد مجيد ، والسلام كما قد علمتم** » .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن ينفذا كل هذا الخير ، حتى يفوزا بثوابه .. وحتى يكونا ـ إن شاء الله ـ من أهل الرحمة .. والله ولى التوفيق .

***

٣١ - وهُمُ الذين لا يَظلِمُونَ رَعَاياهُمْ

حتى يكونوا من أهل العدل ، الذين سيستظلون بظل عرش الرحمن ، يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه .. كما جاء فى نص حديث شريف صحيح رواه البخارى ومسلم :

- عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **سبعةٌ(١) يُظِلُّهم الله فى ظِلِّه ، يوم لا ظلَّ إلا ظِلُّه : إمام عادل(٢) ، وشابٌّ نشأ فى عبادة الله ، ورجُلٌ قلبه مُعَلَّقٌ بالمساجد ، ورجلان تحابَّا فى الله ، اجتمعَا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالٍ ، فقال : إنى أخافُ الله ، ورجلٌ تصدَّق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شِماله ما تنفق يمينُهُ ، ورجلٌ ذَكَرَ اللهَ خالِيًا ففاضَتْ عيناه** » .

- وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثةٌ لاتُرَدُّ دعوتُهم : الصَّائمُ حتَّى يُفطِر ، والإمامُ العادل ، ودعوةُ المظلوم ، يرفعها الله فوق الغَمَام ، ويفتَحُ لها أبوابَ السماء ، ويقول الربُّ : وعِزَّتى لأنْصُرنَّكِ ولو بعدَ حينٍ** » . رواه أحمد ، والترمذى ، وحسنه ابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما ..

---

(١) أى : سبعة أصناف من الناس .. وقد يدخل تحت كل صنف كثير من الناس .. الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم .

(٢) وهو كل من نظر فى شىء من أمور المسلمين من الولاة والحكام . وقد بدأ به لكثرة مصالحه وعموم نفعه.

ـ فعلى الأخ الإمام .. أن يتحرى العدل فى رعيته ، حتى يكون سببًا فى العمار ، لا فى الخراب .. لأن العدل إن دام عَمَّر ، والظلم إن دام دمَّر .. ولأن العدل أساسُ الملك .. وحسبه ترهيبًا له من عكس هذا .. ما ورد :

ـ عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **ما من عَبْد يَسْتَرعيه(١) الله عَز وجل رَعِيَّة يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌ رعيَّتَه ، إلا حرَّم الله تعالى عليه الجنة** » .

وفى رواية : « فلم يَحُطْهَا بنُصحه(٢) : لم يرح رائحة(٣) الجنة » رواه البخارى ومسلم .

ـ وعنه أيضاً رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ما من أميرٍ يلى أمورَ المسلمين، ثم لا يَجهد لهم(٤) ، وينصح لهم ، إلا لم يدخل معهم الجنة** » رواه مسلم والطبرانى ، وزاد : (كنُصْحه وَجَهْده لنفسه).

ـ وعن أبى السماح الأزدىِّ عن ابن عَمٍّ له من أصحاب النبى ﷺ أنه أتى معاوية ، فدخل عليه ، فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **مَن وَلِىَ من أمر المسلمين ، ثم أغلق بابه دون المسكين والمظلوم وذوى الحاجة ؛**

---

(١) أى : يجعله راعيًا عليها ، وجملة (يسترعيه) صفة لعبد .

(٢) أى : لم يشملها بنصحه ويكلأها برعايته .

(٣) وفى رواية لمسلم : (لم يدخل معهم الجنة) .

(٤) أى : يجتهد فى إصلاح أحوالهم وتدبير شئونهم .

أغلق الله تبارك وتعالى أبواب رحمته دون حاجته وفقره أفقر ما يكون إليها(١) ، رواه أحمد ، وأبو يعلى ، وإسناد أحمد : حسنٌ .

ـ أسال الله تعالى أن يجعلنا وإياه من أهل العـدل .. حتى نكون معه ـ إن شاء الله ـ من أهل الرحمة ... اللهم آمين .

***

(١) أى : حال كونه أشد ما يكون فقراً إلى رحمة الله يوم القيامة .

٣٢ ـ وهُمُ الذين يَأمرونَ بالمعروف ويَنْهَوْنَ عن المُنْكَر

تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ .. كما جاء في نص حديث شريف ، رواه مسلم وابن ماجه والنسائي :

ـ عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن رأى منكم منكراً(١) فَلْيُغَيِّرْهُ(٢) بيدِهِ ، فإن لم يستطع ، فَبِلِسَانِهِ(٣) ، فإن لم يستطع فَبِقَلْبِهِ(٤) ، وذلك أضعف الإيمان »(٥).

ولفظ النسائي هو :

ـ أن رسول الله ﷺ قال : « من رأى منكم مُنكراً فَغَيَّرَهُ بيده بَرِئَ ، ومن لم يستطع أن يُغيِّرَه بيده فَغَيَّرَهُ بلسانه فقد برئ(٦) ، ومن لم يستطع أن يُغيِّرَهُ بلسانه فغَيَّرَهُ بقلبه فقد برئ ، وذلك أضعف الإيمان » .

---

(١) أي : شيئًا قبَّحه الشرع فعلاً أو قولاً .

(٢) يعني : فليزله وجوباً إن استطاع بيده .

(٣) وذلك بإهانة مرتكبه وتوبيخه .

(٤) يعني : إن خاف ضرراً ؛ فالواجب إنكاره بقلبه بأن يكرهه ويعزم على تغييره إن قدر .

(٥) أي : إنكاره بالقلب .. أضعف الإيمان أي : خصاله .

(٦) أي : برئت ذمته من عهدة الواجب وسلم من المؤاخذة .

ـ وهذا الحديث العظيم .. قد بيَّن فيه النبى ﷺ مراتب النهى عن المنكر، والحد الأدنى لهذا الإنكار ، الذى بفقده يفقد الإيمان ، ولا يبقى فى القلب منه شيء ..

ـ وعن عُبادَةَ بن الصامت رضي الله عنه قال : « بايَعْنَا رسولَ الله ﷺ على السمع، والطاعة(١) فى العُسْر واليُسْر(٢) ، والمَنْشَط والمَكْرَه ، وعلى أثرةٍ علينا(٣) ، وأن لا ننازع الأمرَ أهْلَهُ(٤) إلا أنْ تَرَوْا كُفراً بواحًا(٥) عندكم من الله فيه بُرهانٌ(٦) وعلى أن نقول الحقّ أينما كُنّا ، لا نخاف فى الله لومَة لائِم » رواه البخارى ومسلم .

ـ وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « مثلُ القائِمِ فى حدودِ الله(٧) ، والواقع فيها(٨) ، كمثَل قومٍ استهَموا على سفينةٍ(٩) ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضُهم أسفلها(١٠) ، فكان الذين فى أسفَلها

---

(١) أى : على أن نسمع له ونطيع ، وكذلك لمن ولاه الله أمرنا من الخلفاء والأمراء .

(٢) أى : فى حالتى الشدة والرخاء .

(٣) أى : بايعناه على إيثاره وتفضيله واختيار حكمه واتباع سنته .

(٤) أى : وعلى أن لا نشق عصا الطاعة لمن ولاهم الله أمرنا ، ولا ننازعهم ذلك الأمر .

(٥) أى : جهاراً .

(٦) يعنى : حجة ودليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(٧) أى : الحافظ لها والمستقيم عليها ، أو المباشر لتنفيذها من الولاة والقضاة .

(٨) أى : المتعدى عليها والمنتهك لحرمتها .

(٩) أى : اقترعوا على الأماكن التى ينزلون فيها من السفينة .

(١٠) أى : صار بعضهم فى الطابق الأعلى من السفينة ، وبعضهم فى الطابق الأسفل .

إذا استَقَوْا من الماء مَرُّوا على مَن فوقهم(١) فقالوا : لو أنَّا خَرقْنَا فى نصيبنا خرقًا ، ولم نُؤْذِ مَنْ فوقنا(٢) فإن تركوهم وما أرادوا : هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ، ونَجَوْا جميعًا ، رواه البخارى والترمذى .

ـ وهذا حديث عظيم يدل على وجوب التضامن بين أفراد الأمة فى مواجهة المنكرات ، لأنهم مسئولون جميعًا عن كل ما يحدث فيها من أنواع البدع والمنكرات ، وأن مَنْ بيدهم الأمر يجب أن يضربوا على أيدى العابثين والمجرمين ، وأنهم لو أهملوا وقصَّروا حَلَّ الدَّمار والهلاك بهم جميعًا .. والعياذ بالله .

ـ وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها فَزِعًا(٣) يقول: «لا إله إلا الله ، ويلٌ للعرب(٤) من شرٍّ قد اقترب(٥) ، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوج ومأجُوجَ(٦) مثل هذه ، وحلَّقَ بين أُصْبُعَيْهِ : الإبهام

---

(١) لأنهم لا يستطيعون أن يصلوا إلى الماء من مكانهم .

(٢) يعنى : أنهم تآمروا على أن يخرقوا فى نصيبهم من السفينة خرقاً يدخل منه الماء ، بدلاً من الصعود إلى أعلى والمرور على من فوقهم . (وما بعد ذلك واضح) .

(٣) أى : خائفاً مرعوباً .

(٤) أى : عذاب وهلاك لهم .

(٥) يعنى : قرب زمان وقوعه .

(٦) وهو الردم الذى ورد ذكره فى آخر سورة الكهف .. وهو السد الذى بناه ذو القرنين ليحجز خلفه هاتين القبيلتين اللتين كانتا تفسدان فى الأرض بالإغارة والسلب ، وهما : يأجوج ومأجوج .

والتى تليها[1] فقلت : يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كَثُرَ الخَبَثُ »[2] رواه البخارى ومسلم .

ـ وقد استدل بعض العلماء ـ بهذا الحديث ـ على أن السَّدَّ قد هُدِمَ فعلاً وخرج منه يأجوج ومأجوج ، ويُفَسِّرون ذلك بغزو التتار للبلاد الإسلامية واجتياحهم لممالكها حتى استولوا على قصبة الخلافة ببغداد ، وأسقطوا الخلافة الإسلامية العباسية سنة ٦٥٦ هـ ، وأحالوا عامر هذه البلاد خراباً ودماراً ... والله أعلم .

ـ هذا .. وإذا كان شاهدنا ـ فى هذا الحديث الأخير ـ هو قول الرسول ﷺ لزينب بنت جحش بعد أن سألته : « أنهلك وفينا الصالحون ؟ « قال : نعم « إذا كثر الخبث » ، ولما كان الخبث هذا هو الفساد والشر .. كان لا بد أن نواجهه بجميع وسائل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. التى وقفنا عليها ـ كل بحسب إمكاناته ـ وبالحكمة والموعظة الحسنة ؛ حتى نبرئ ذمتنا .. وحتى نكون ـ بذلك ـ إن شاء الله .. من أهل الرحمة .. والله ولى التوفيق .

***

---

(١) وهى السبابة .

(٢) يعنى : الفساد والشر .

٣٣ ـ وهُمُ الذين يَأمُرونَ بالمَعْرُوف ويَفْعَلُونَهُ وينْهَوْنَ عن المُنْكَرِ ولا يَفْعلونَهُ

حتى لا يكونوا كمثل هذا الذى يدور كما يدور الحمار برحاه .. كما جاء فى نص حديث شريف رواه البخارى ومسلم :

ـ عن أُسَامَةَ بنِ زيد ﷺ قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يُؤْتَى بالرجل يوم القيامة ، فيُلْقَى فى النار ، فتندلقُ أقتابُ بطنه(١) ، فيدورُ بها كما يدور الحمارُ فى الرَّحى فَيجتمع إليه أهل النار ، فيقولون : يا فلان مَالَكَ(٢) ؟ ألم تكن تأمُرُ بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ؟ فيقول: بلى ، كُنْت آمُرُ بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه** ».

ـ وفى رواية لمسلم ، قال : قيل لأسامة بن زيد : لو أتيتَ عثمانَ فكَلَّمْتَهُ(٣) ؟ فقال : إنكمُ لترونَ أنِّى لا أُكَلِّمُهُ إلاَّ أُسْمِعُكُم ، وإنِّى أُكَلِّمُهُ فى السِّرِّ ، دون أن أفتح بابًا أكونُ أوَّلَ من فَتَحَهُ ، ولا أقول لرجل ـ وإن كان عَلَىَّ

---

(١) أى : تخرج أمعاؤه ، والأقتاب : جمع قَتَب ـ بفتحتين ـ وهى المِعَى .

(٢) أى : أىُّ شىء جرى لك ، وما سبب دخولك النار ؟ .

(٣) يعنى : فيما أنكره الناس على عثمان بن عفان ﷺ .

أميراً ـ : إنه خير الناس بعد شيء سمعتُه من رسول الله ﷺ . قالوا : وما هو[1]؟ قال : سمعتُه يقول : « يُجَاء بالرجل يوم القيامة فيُلْقَى فى النار فتندلقُ أقْتَابُه ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : يا فلان ؛ ما شأنُك[2] أليس كُنْتَ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : كنتُ آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه ».

ـ أسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون ، وأن يجعلنا عكس هذا ؛ حتى نكون من أهل الرحمة ـ إن شاء الله ـ والله ولى التوفيق .

***

(١) وفى رواية : (قالوا : وما سمعته ؟) .

(٢) وفى رواية : (ما أصابك ؟) .

٣٤ ـ وهُمُ الذين لا يَشْرَبُونَ الخَمْر ولا يَبيعُونَها ولا يَشترُونَها ، ولا يَعصرُونَها ولا يَحْملونَها ، ولا يَأكُلونَ ثَمَنَها

ـ لأنه قد ورد الترهيب من كل هذا فى عدة أحاديث شريفة ، منها ما ورد:

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يزنى الزانى(١) حين يزنى(٢) وهو مؤمن ، ولا يسرقُ السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها ، وهو مؤمن** » رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وزاد مسلم .

وفى رواية لأبى داود قال : « **ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولكن التوبة معروضة بعد** »(٣) .

ـ وفى رواية النسائى قال : « **لا يزنى الزانى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارقُ وهو مؤمنٌ ، ولا يشربُ الخمرَ وهو مؤمنٌ ، وذكر رابعة**

---

(١) أى : ولا تزنى الزانية ، فلا اختصاص للذَّكر بذلك ، ولكنه اقتصر عليه من باب التغليب .

(٢) أى : وقت زناه ووطئه الفرج الحرام .

(٣) أى : ممكنة وبابها مفتوح ، فإذا وقع فى شىء من ذلك ثم تاب توبة صادقة ، بأنْ ندم على الذنب ، وعزم على عدم العودة إليه ، صقل قلبه ، وعاد إليه إيمانه .

فنسيتُها ، فإذا فعل ذلك فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقِه(١) ، فإن تابَ ؛ تابَ الله عليه » .

ـ والمعنى المراد من كل تلك الروايات : أنه لا يزاول كل تلك المعاصي في حال إيمانه ، بل يفارق الإيمان قلبه ، قالوا : إنه يصير على رأسه مثل الظُّلَّة ، فإن تاب عاد إليه ، والمراد ـ كذلك ـ أن ظُلمةَ الزنا لا تجامع نور الإيمان في القلب .. فمن وقع في الزنا ، فارق الإيمان قلبه .. وقسْ على ذلك بقية المعاصي الواردة في الحديث ـ بصفة خاصة ـ وبالإضافة إلى الكبائر المنهى عن ارتكابها .. والتي نسأل الله تعالى أن يعافينا جميعاً منها .. اللهم آمين .

والحديث ـ كذلك ـ يدل على شناعة هذه الخصال .. وأنها منافية لكمال الإيمان ، وأن من شأن المؤمن الحريص على إيمانه أن يحذرها ، حتى يبقى له إيمانه .

ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لعن الله الخمر ، وشاربهَا ، وساقِيها ، ومبتاعَها ، وبائعها ، ومُعتصرَها ، وحاملَها ، والمحمولةَ إليه** » رواه أبو داود ، واللفظ له ، وابن ماجه ، وزاد : « وآكل ثمنها » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أتاني جبريل فقال : يا مُحمد ؛ إن الله لعن الخمر وعاصرها ومُعتصِرَها ،**

---

(١) وظاهره أنه فارق الإسلام كلية .. والربقة ـ بكسر الراء وسكون الموحدة ـ : عروة الحبل .

وشاربَها ، والمحمولة إليه ، وبائعَها ومبتاعَها ، وساقِيَهَا ومُسْقَاهَا » رواه أحمد بإسناد صحيح ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا ، حتى لا يشربا الخمر ـ التى هى كل شىء يستر العقل[1] ـ وذلك حتى لا يكونا من أهل اللعنة والعياذ بالله .. بل وحتى يكونا ـ بسبب اجتنابهما لشرب الخمر[2] ـ من أهل الرحمة .. إن شاء الله .

والله ولى التوفيق .

***

(١) وقد سميت بهذا الاسم لمخامرتها للعقل ، وسترها له .

(٢) وكذلك البيرة والمخدرات ، لأنها أخت الخمر .. ففى الحديث : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » و« ما كان كثيره مسكر ، فقليله حرام » .

٣٥ ـ وهُم الذينَ لا يَقْتُلونَ النَّفْسَ التى حَرَّمَ اللهُ قَتْلَهَا إلاَّ بالحَقِّ

لأنه قد ورد الترهيب من هذا الفعل الشنيع فى القرآن الكريم ، وفى السنة الشريفة فى كثير من الأحاديث التى منها ما ورد :

ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أولَ ما يُقضَى بين الناسِ يومَ القيامة فى الدماء » رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وللنسائى أيضاً : « أول ما يُحاسَبُ عليه العبدُ الصلاةُ ، وأول ما يُقضَى بين الناس فى الدماء » .

ـ قال فى الفتح : « أى : أول القضاء يوم القيامة القضاء فى الدماء ، أى : فى الأمر المتعلق بالقضاء ، وفيه عِظم أمر القتل ، لأن الابتداء إنما يقع بالأهم».

ـ وقال العينى : « أى : فى القضاء بها ، لأنها أعظم المظالم ـ فيما يرجع إلى العباد ـ ففيه وعيد شديد من حيث يُبْتَدأ بها فى الحساب » .

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ . قيل : يا رسول الله : وما هُنَّ؟ قال : الشركُ بالله ، والسِّحْرُ ، وقَتْلُ النفسِ التى حَرَّمَ اللهُ إلا بالحق ، وأكلُ مال اليتيم ، وأكل الربا ،

والتـولى يوم الزَّحْفِ ، وقـذفُ المُحْـصنَات الغـافـلات المؤمنات » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى . والموبقاتُ : أى المهلكات .

ـ وعن البـراء بن عازب رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال : « لزوال الدنيا أهونُ على الله من قـتل مؤمن بغيـر حَقٍّ » رواه ابن مـاجه بإسناد حـسن ، ورواه البيـهقى والأصبهانـى ، وزاد فيه : «ولو أن أهل سـمـاواتـه ، وأهلَ أرضـه اشتـركوا فى دم مؤمنٍ ، لأدخلهم الله النـار » .

ـ وفى رواية البـيـهقـى : قال رسـول الله ﷺ « لزوال الدنيا جـميـعاً أهونُ على الله مِن دمٍ سُفِكَ بغير حَقٍّ » .

ـ قال ابن العربى : « ثبت النهى عن قتل البـهيمة بغيـر حق ، والوعيد فى ذلك ، فكيف بقتل الآدمىِّ ، فكيف بالمسلم ، فكيف بالتَّقىِّ الصالح » ؟! .

ـ وقال العزيزى فى شرح الجـامع الصغير : « فـهو أكبر الكبـائر بعد الإشراك بالله » .

ـ وقال الحفنى : « فمن قتل مـسلماً يُعذَّب عذاباً أشـد ممن أزال الدنيا بأسـرها لو فُرِض ذلك » .

ـ وقال بعضهم : « الكلام مَسُـوق لتعظيـم القتل ، وتهـويل أمـره .. وكيفية إفادة اللفظ ذلك هو أن الدنيـا عظيـمة فى نفوس الخلق ..فزوالها يكون عندهم على قدر عظمـتها .. فإذا قـيل : إن زوالها أهون من قتل المؤمن يُفـيد الكلام ـ من تعظيم القتل وتهويله ، وتشنيعه ـ ما لا يُحيطه الوصف » .

ـ وأما عن الحق ، الذى لا يحل قتل النفس ـ التى حـرم الله ـ إلا به .. فهو المشار إليه فى الحديث ، الذى رواه البخارى ومسلم :

ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:

« لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثَّيِّبُ الزانى[1] ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا ، حتى لا يقعا فى هذا الجرم الكبير، أو يشاركا فيه .. ولو بالرأى .. أو بالكتمان[2] ، بل وحتى يكونا ـ بسبب البعد عن هذا ـ من أهل الرحمة ـ إن شاء الله ـ والله ولى التوفيق .

***

---

(١) وهو من تزوج ووطئ فى نكاح صحيح ، ثم زنى بعد ذلك ، فإنه يرجم ـ وإن لم يكن متزوجاً عند الزنا ـ وذلك لاتصافه بالإحصان .. مع ملاحظة أن المسئول عن تنفيذ هذا هو الحاكم وحده.

(٢) أعنى : لصالح القاتل ؛ فإن هذا سيكون مشاركة فى الذنب .

٣٦ ـ وهُمُ الذينَ لا يَقْتُلُون أنفُسَهُمْ بأيَّةِ وسيلةٍ مِنَ الوَسَائِلِ

حتى لا يموتوا كُـفَّاراً ـ والعياذ بـالله ـ كما جاء فى نص حـديث شريف ، رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذى بتقديم وتأخير ، والنسائى :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ تَرَدَّى(١) من جَبَلٍ فقتل نفسه فهو فى نـار جهنم يتَـرَدَّى فيهـا خالداً مُخلَّداً فيهـا أبداً(٢) ، ومَنْ تَحسَّى سُمّاً(٣) فقتل نفسه فَسُمَّه فى يده يَتَحسَّاهُ فى نار جهنم خَالِداً مُخلَّداً فيها أبدا ، ومَن قتل نفسه بحديدةٍ فحَدِيدَتُهُ فى يدهِ يتوجَّأُ بها(٤) فى نار جهنَّم خالداً مخلَّداً فيها أبداً** » .

ولأبى داود : « ومَن حَسَا سُماً فَسُمُّهُ فى يَدِهِ يتحسَّاه فى نار جهنَّم » .

ـ وعنه رضي الله عنه قـال : قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « **الذى يخنُقُ نفسه(٥)**

---

(١) تردَّى : أى : رمى بنفسـه من فوق الجبل متعمداً لذلك بدليـل قوله : « فقتل نفسـه » وإلا فمجرد قوله : «تردى » لا يدل على التعمد » .

(٢) يعنى : أن الله يعذبه فى النار بجنس ما قتل به نفسه ، فلا يزال يتردى من جبل فى النار ـ مرة بعد مرة ـ إلى الأبد .

(٣) أى : شربه شيئاً بعد شيء .

(٤) يتوجأ بها : أى : يضرب بها نفسه .. والاسم (الوجاء) بكسر الواو .

(٥) أى : يضغط على عنقه بحبل ونحوه مما يمنع دخول النفس وخروجه حتى يموت .

يخنقها فى النار[1] والذى يطعن نفسه يطعن نفسه فى النار ، والذى يقتحمُ يقتحمُ[2] فى النار » رواه البخارى .

ـ وعن الحسن البصرى رضي الله عنه قال : حدثنا جندُبُ بنُ عبد الله فى هذا المسجد ، فما نسينا منه حديثًا ، وما نخاف أن يكون جُنْدبٌ كذب على رسول الله ﷺ ، قال : « كان برَجُلٍ جِراَحٌ[3] ، فقتل نفسه[4] . فقال الله بدرنى عبدى بنفسه[5] ، فحرّمتُ عليه الجنة »[6] .

ـ وفى رواية : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جُرحٌ فجزع[7] ، فأخذ سكّينًا فحزَّ بها يده[8] ، فما رَقَأ الدم[9] حتَّى ماتَ ، فقال الله : بدرنى عبدى بنفسه » الحديث ، رواه البخارى ، ومسلم ، ولفظه قال : « إن رجُلاً كان ممَّن

---

(١) أى : أن يكون ذلك الذى قتل نفسه به هو عذابه الدائم فى النار .

(٢) أى : يلقى بنفسه من مكان مرتفع ، قال فى النهاية : « اقتحم الإنسان الأمر العظيم وتقحمه إذا رمى نفسه فيه من غير روية وتثبت » .

(٣) وكانت جراحه تؤلمه .

(٤) أى : تعجل الموت لكى يتخلص من آلامه .

(٥) يقال : بدره إلى الشىء وبادره ، أى : عاجله وسبقه .

(٦) أى : منعته من دخولها ، لسخطه على قضائى ، وقنوطه من رحمتى .

(٧) أى : لم يصبر عليه فأظهر الحزن والكدر .

(٨) يعنى : قطعها ، وفى رواية (نحر) وهو تصحيف .

(٩) يعنى : جف وانقطع .

كان قبلكم خرجت بوجهه قرحةٌ ، فلمَّا آذتْهُ[1] انتزع سَهْمًا من كِنَانَته[2] فنكَأَهَا[3] ، فلم يرقأ الدم حتى مات . قال ربُّكم : قد حَرَّمتُ عليه الجنة » .

ـ وعن جابر بن سَمُرةَ ﷺ : « أن رجُلاً كانت به جراحة فأتى قَرَنًا له[4] فأخذ مِشقَصًا[5] فذبح به نفسه ، فلم يصَلِّ عليه النبى ﷺ »[6] رواه ابن حبان فى صحيحه .

ـ وعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا ، فَلمَّا مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم[7] ، وفى أصحاب رسول الله ﷺ رجُلٌ[8] لا يدع لهم شَاذَّةً ولا فاذَّةً[9] إلا اتَّبَعَهَا يضربها بسيفه[10] ، فقالوا : ما أجزأ منَّا اليومَ أحدٌ كما

---

(١) أى : آلمته .

(٢) الكنانة : جعبة من جلد أو خشب ، تجعل فيها السهام .

(٣) يقال : نكأ القرحة ، أى : قشرها قبل أن تبرأ .

(٤) القَرَن ـ بفتحتين ـ : الجعبة .

(٥) مشقص : نصل عريض ، وجمعه : مشاقص .

(٦) وذلك لإقدامه على تلك الجريمة الشنعاء التى تَنمُّ عن جزعه وقلة صبره ، وسخطه على قضاء ربه ، وعدم احتسابه أجر ألمه عند الله .

(٧) يعنى : انحجز كل من الفريقين عن الآخر .

(٨) وكان اسمه قزمان ، وهو أحد المنافقين .

(٩) أى : ندر عنهم وانفرد ، وفاذة .. أى : كان مستبسلاً فى كرِّه وفرِّه .

(١٠) يعنى : إلا أدركها وقتلها .

أجزأ فلان[١] ، فقال رسول الله ﷺ: « **أمَا إنَّه من أهل النار** »[٢] . وفى رواية فقالوا : أيُّنا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : أنا صاحبه أبداً[٣] . قال : فخرج معه كُلَّما وقَفَ وقف معه ، وإذا أَسْرَعَ أَسْرَعَ معه . قال : فجُرِحَ الرجُلُ جُرحًا شديدًا ، فاستعجل الموتَ فوضَعَ سيفه بالأرض وذُبَابه[٤] بين ثَدْيَيْه ثم تَحَامَلَ على سَيْفِه[٥]، فقتل نفسه ، فخرج الرجُلُ إلى رسول الله ﷺ ، فقال : أشهد أنك رسول الله . قال : « **وما ذاك ؟** » قال : الرجل الذى ذكرتَ آنفًا أنه من أهل النار ، فأعظم الناسُ ذلك[٦] ، فقلتُ : أنا لكم به ، فخرجتُ فى طلبه حتى جُرِحَ جُرحًا شديدًا ، فاستعجل الموتَ ، فوضع نَصْلَ سَيْفِهِ بالأرضِ وذُبَابَهُ بين ثدييْهِ ، ثم تحامَلَ عليه ، فقتل نفسه . فقال رسول الله ﷺ : « **إن الرجل ليعمل عملَ أهلِ الجنَّةِ فيما يبدو للناسِ[٧] ، وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعملُ عملَ أهلِ النارِ فيما يبدو للناس وهو من أهلِ الجنة** » رواه البخارى ومسلم.

---

(١) يعنى : لم يبل أحد فى هذه الموقعة بلاءه ولم يغن غناءه .

(٢) وكان هذا بوحى من الله سبحانه وتعالى .

(٣) يعنى : سأصحبه وألازمه حتى أرى ما يكون من أمره .

(٤) يعنى : طرفه الذى يضرب به .

(٥) يعنى : ألقى بثقله عليه .

(٦) أى : أنهم عَدُّوه شيئًا عظيماً .

(٧) أى : يظهر لهم .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يرضيا بقضاء الله ، ولا يقنطا من رحمته .. حتى لا يحدث منهما .. أو من أحدهما ـ والعياذ بالله ـ مثل هذا الجرم الشنيع .. وعليهما ـ كذلك ـ أن يبتعدا عن جميع الأسباب المؤدية إلى مثل هذا .. والتى منها .. بل من أهمها : شرب الدخَان وتوابعه .. فقد سمعت من أحد الأطباء الصالحين[1] .. أن شارب الدخان يُعتبر منتحراً لأنه يقتل نفسه قتلاً بطيئًا ..

ثم يقول : فإذا مات .. ثم تبين أن موته هذا ، كان بسبب شرب الدخان .. فإنه سيكون قد مات منتحراً ـ والعياذ بالله ـ ولو فكرنا فى هذا جيداً ، لتبين لنا أن شرب الدخان كاحتساء السم تماماً[2].

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا ، حتى لا يكونا من المسيئين إلى أنفسهم وأهليهم .. بل وحتى يكونا ـ إن شاء الله ـ من العقلاء السعداء .. الذين يستحقون رحمة الله .. والله ولى التوفيق .

***

---

(١) وهو الدكتور محمد سعيد .. الرئيس العام للجمعيات الشرعية بالمحلة الكبرى ، عليه رحمة الله .

(٢) كما جاء فى رواية أبى داود التى وقفنا عليها .

٣٧ ـ وهُمُ الذينَ يَزُورُونَ إخْوانَهُمْ الصَّالحِينَ لِلَّه .. وفِى اللَّه

طمعاً فى حُبِّ الله تعالى لهم .. كما جاء فى نص حديث شريف صحيح ، رواه مسلم :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنَّ رجُلاً زار أخًا له فى قريةٍ، فأرصدَ الله تعالى على مدرجَتِه ملَكًا(١) ، فلَمَّا أتى عليه(٢) ، قال : أين ترِيد ؟ قال : أريدُ أخًا لى فى هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمةٍ ترُبُّها ؟(٣)قال : لا ، غير أنِّى أحببتُه فى الله . قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك(٤) كما أحببته »(٥) .

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن عاد مَريضًا(٦) ، أو زار أخاً له فى الله ، ناداه مُنَادٍ : بأن طِبْتَ(٧) ، وطابَ

---

(١) أى : أقعد الله ملكًا على طريقه يَرقبه وينتظره .

(٢) أى : مَرَّ .

(٣) أى : تحفظها وتراعيها وتربيها له .. كما يربى الرجل ولده .

(٤) ومحبة الله لعبده صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق به ، ويلزم منها إرادة الخير والرضا .

(٥) أى : جزاء لحبك أخاك فى الله عز وجل .

(٦) يعنى : زاره أثناء مرضه .

(٧) أى : فعلت طيباً حسنًا .

ممشاك(١) ، وتَبَوَّأتَ(٢) من الجنــة منزلاً ، (٣).

رواه ابن مـاجه ، والتـرمذى ، واللفظ له ، وقـال : حديث حـسن ، وابن حبـان فى صـحيحه ، كـلهـم من طريق أبى سنان ، عن عثمـان بن أبى سودة عنه .

ـ وعن معاذ بن جبل ﷺ قال : سمعتُ رسـول الله ﷺ يقول : « قال الله تبارك وتعالى: « **وَجَبَتْ مَحَبَّتِي للمُتَـحابِّين فِيّ ، وللمتـجَالسين فِيّ ، وللمتزاورين فِيّ ، وللمتباذلين فِيّ** » . رواه مالك بإسناد صحيح .

ـ فعلـى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا ويـنفذاه .. حـتى يكونا مـن الذين يحـبـهم الله تبـارك وتعـالى ، وحـتى يكـونـا من أهل الرحمة ـ إن شاء الله ـ والله ولى التوفيق .

***

---

(١) أى : طاب سعيك وكان صالحاً .

(٢) أى : سكنت ونزلت .

(٣) وهو دعاء له بطيب العيش فى الآخرة .

٣٨ ـ وهُم أهْلُ الحَيَاء الذى هُوَ أعظمُ شُعْبَةٍ مِنْ شُعَبِ الإيمانِ

كما جاء فى نص حديث شريف ، رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ أو بضْع وسِتُّونَ شُعْبَةً ، فأفضلُهَا قول : لا إله إلا الله(١) ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق(٢)، والحياء شُعْبَةٌ من الإيمان** » .

ـ قال الراغب : « الحياء انقباض النفس عن القبيح ، وهو من خصائص الإنسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهى .. فلا يكون كالبهيمة ، وهو مركَّبٌ من جُبْن وعِفَّة .. فلذلك لا يكون المستحى فاسقًا .. وقَلَّما يكون الشجاع مُستحيًا .. وقد يكون لمطلق الانقباض ، كما فى بعض الصبيان » .

ـ وقال بعضهم : هو انقباض النفس خشية ارتكاب ما يكره ، أعم من أن يكون شَرْعيّاً ، أو عَقْليّاً ، أو عُرفيّاً .. ومقابل الأول : فاسق ، والثانى : مجنون ، والثالث : أبْلَه .

ـ ومعنى قوله فى الحديث : « أو بضع وستون شعبة » ، يفيد بأن : (أو)

---

(١) أى : أشرفها وأعلاها ، وعند ابن ماجه (وأرفعها) .

(٢) أى : إزالته .

للشك .. والبضع ، والبضعة ـ بكسر الباء ، وحُكى فتحها ـ : القطعة من الشيء ، وهى ـ فى العدد ـ من الثلاث إلى التسع ، لأنه قطعة من العدد ، ومعنى (شُعبة) أى : خصلة ، وعند ابن ماجه : (باباً) .

قال بعضهم : هذا كناية عن الكثرة ، ولم يرد مفهوم العدد ، وكثيراً ما تجىء أسماء العدد للتكثير (ولكن) يبعده قوله : (بضْع) إذ لو أراد التكثير ، لم يحتج لقوله ذلك ، بَل لقال : ستون أو سبعون .

ـ ومعنى قوله ﷺ : « **والحياء شُعْبةٌ من الإيمان** » : أى : خصلة من خصَالـه .. وأثر من آثاره .. والحياء بالمدِّ لُغَةً : تَغَيُّرٌ وانكسار يَعْترى الإنسانَ عند خَوف ما يُعَابُ ، وفى الشرع : خُلُقٌ يبعَثُ على اجتناب القبيح ، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق[1] .

وقد ورد فى السنة ما يؤكِّد هذا ويُرَكِّزُ عليه .. بصورة واضحة تشير إلى أهميته :

ـ فعن عمران بن حُصَيْن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الحياء لا يأتى إلا بخير** » رواه البخارى ومسلم . وفى رواية لمسلم : « الحياءُ خيرٌ كُلُّه » .

ـ وهذا معناه : أن كل ما يترتب على الحياء من ثمار ونتائج خير لصاحبه ، حتى ولو ترتب عليه ضياع بعض حقوقه عند الناس ، فإنه يُؤْجَرُ على ما ترك منها ، لا سيما إذا كان المتروك له مُسْتَحقاً ..

---

(١) كما جاء فى شرح الحديث .. فى الترغيب والترهيب : ج٣ صـ٦٢٦ وما بعدها .

وفى الحديث : «**الحياء خير كله ، ومن لا حياء فيه ، لا خير فيه**» .

ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مَرَّ على رجُلٍ من الأنصار ، وهو يعظ أخاه فى الحياء » ، أى : يُعاتبه ويؤنبه ، ويقول له : لقد أضر بك الحياء ، وينصحه بتركه .. فقال رسول الله ﷺ : « **دَعْهُ فإن الحياء من الإيمان** » ، أى : اتركه على ما هو عليه من الحياء ولا تنصحه بتركه .. والحديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ..

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يحرصا كل الحرص على أن يكونا من أهل الحياء .. بهذا المعنى الكبير الذى وقفا عليه ، حتى يكونا ـ بسبب كل هذا الخير المؤكِّد للإيمان ـ من أهل الرحمة ، إن شاء الله ..

والله ولى التوفيق .

***

٣٩ ـ وهُمْ أهلُ الخُلُقِ الحَسَنِ

اقتداء برسول الله ﷺ الذى كان ـ كما وصفه ربه ، سبحانه وتعالى ، فى قرآنه ـ : « على خلقٍ عظيمٍ »(١) .

ـ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله ﷺ « فاحشًا ، ولا مُتَفَحِّشًا ، وكان يقول : « إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا » رواه البخارى ومسلم والترمذى .

ـ قال فى الفتح : « الفحش » : ما خرج عن مقداره حتى يُستَقْبح ، ويدخل فى القول والفعل والصفة .. يقال : طويل فاحش الطول ، إذا أفرط فى طوله ، لكن استعماله فى القول أكثر (والمتفَحِّش) : الذى يتعمد ذلك ويُكثر منه ويتكلَّفُه » .

ـ وأغرب الداودى فقال : « الفاحش : الذى يقول الفُحش ، والمُتفَحِّش : الذى يستعمل الفُحش ليُضحك الناس » .

ـ وقال الزمخشرى فى الأساس : « أفحش فلان فى كلامه وفَحشَ وتفحَّش وهو فَحَّاش ، وتفاحش الأمر : تزايد فى القُبح ، وفلان فاحش ، أى : بخيل ، ومنه : ﴿ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾(٢) .

---

(١) قال تعالى فى سورة القلم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (الآية : ٤) .

(٢) البقرة ، من الآية ٢٦٨ .

ـ وعن أبى الدرداء رضي الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **مـا من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامـة من خُلُقٍ حَسَنٍ ، وإن الله يُبْغِضُ الفاحشَ البذِىء** » رواه الترمـذى ، وابن حبان فى صحـيحه ، وقال الترمـذى : حديث حسن صحيح . (والبذىء) : هو المتكلم بالفحش ، وردىء الكلام .

ـ وزاد **الترمذى** فى رواية له : « وإن صاحبَ حُسن الخلُق ليبلغ به درجة صاحب الصـوم والصلاة »[1] : يعنى أنه يصل بحـسن خُلُقِـه إلى درجـة مَن يصوم النهار ويقوم الليل .

ورواه أبو داود ـ مـخـتـصـراً ـ قـال : « مـا من شىء أثقل فى المـيـزان من حسن الخُلُق »[2] .

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قــال : قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الله ليُـبلّـغُ العبدَ بحُسْن خُلُقِه درجةَ الصَّومِ والصلاة** » رواه الطبرانى فى الأوسط ، وقال : صحيح على شـرط مسلم ، ورواه أبو يعلى من حديث أنس ، وزاد فى أوله : «أكمل المؤمنين إيماناً أحْسنُهم خُلُقًا » .

ـ فـعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمـة .. أن يلاحظا كل هذا وينفـذاه ؛ حـتى يكونا من أهل الخلق الحـسن ـ اقتـداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وحـتى يكونا بذلك من أهل الرحمة ـ إن شاء الله ـ والله ولى التوفيق .

***

---

(١) ورواه ـ بهذه الزيادة ـ البزار ، بإسناد جيد ، لم يذكر فيه : « الفاحش البذىء » .

(٢) وفى رواية : « أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن » .

٤٠ ـ وهم أهلُ الرِّفق والأناة والحِلم

ـ وذلك لأن الله تعالى يحب الرفق ويرضاه ، ويُعينُ عليه .. كما أن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه .. كما جاء فى سنة النبى ﷺ :

ـ فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله رفيقٌ يُحبُّ الرفق فى الأمرِ كلِّه** » رواه البخارى ومسلم .

ـ وفى رواية لمسلم : « إن الله رفيق يحب الرفقَ ، ويُعطى على الرفقِ ما لا يعطى على العنف ، وما لا يُعطى على سواه » .

ـ **قال فى النهاية** : « الرفق لين الجانب ، وهو خلاف العنف ، وهو سبب كل خير » ، **وقال النووى** : « فيه تصريح بتسميته سبحانه وتعالى ووصفه برفيق ، وفيه فضل الرفق والحث على التخلق به » ، وقال النووى أيضاً حول معنى أن الله تعالى : « يُعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف » أى : يُثيبُ عليه ما لا يثيبُ على غيره . **وقال القاضى** : معناه يتأتى به من الأغراض ، ويُسَهِّل من المطالب ما لا يتأتى بغيره . **وقال فى الفتح** : أى : يتأتى معه من الأمور ما لا يتأتَّى مع ضده ، والرفق لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل .

ـ وعن عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال : « **إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ، ولا يُنزَعُ من شىء إلاّ شانه** » رواه مسلم .

ـ وأما عن الأناة والحلم ، فقد ورد فيهما :

ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أُخبركُمْ بمَنْ يُحَرَّمُ على النار، أو بمن تُحرَّمُ عليه النار ؟ تُحرَّمُ على كُلّ ليِّنٍ سَهْلٍ** » رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، وابن حبان فى صحيحه ولفظه فى إحدى رواياته : « إنَّما تُحرَّم النار على كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّن قَرِيبٍ سَهْلٍ » .

ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ للأشَجِّ[1] : « **إن فيك لخَصْلتَيْنِ يُحبُّهُمَا الله ورسُوله : الحِلْمُ والأناة** » رواه مسلم .

ـ وعن أنس رضي الله عنه قال : « كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ[2] نَجْرانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشية[3] فأدركَه أعرابِيٌّ فجذَبَهُ بردَائه جذبَةً شديدةً[4] ، فنظرتُ إلى صفحة عنُقِ رسول الله ﷺ وقد أثَّر بها[5] حاشيةُ الرداء من شدَّة جذبته ، ثم قال: يا محمد مُرْ لِى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه فضحِكَ ثم أمر له بعطاء » رواه البخارى ومسلم .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يتخلقا بهذا الخلق الكريم حتى يكونا من أهل الرحمة ـ إن شاء الله ـ والله ولى التوفيق .

---

(١) هو أشج عبد القيس .

(٢) البرد نوع من الثياب معروف .

(٣) أى : البطانة .

(٤) أى : شده إليه بعنف .

(٥) وفى رواية : (أثر فيها) .

٤١ ـ وهُم الذين لا يَسبّونَ الدَّهْرَ

لأن الله تعالى هو الدهر .. كما جاء فى نص حديث شريف ، رواه البخارى ومسلم وغيرهما :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **قال الله تعالى : يَسُبُّ بنو آدمَ الدهرَ ، وأنا الدهرُ ، بيدى الليلُ والنهار** » ، وفى رواية : «أُقَلِّب ليله ونهاره ، وإذا شئتُ قبضتُهما » ، وفى رواية لمسلم : « لا يَسُبُّ أحدكم الدهرَ ، فإن الله هو الدهر » ، وفى رواية للبخارى : « لا تُسَمُّوا العِنَبَ الكرْمَ ، ولا تقولوا : خيبة الدهرِ ، فإن الله هو الدهر » .

والمعنى المفهوم من كل تلك الروايات : هو أن بنى آدَم إذا حصل لهم مكروه ، أو نزلت بهم نائبة .. تراهم يذمون الدهرَ ويشتمونه ، كقولهم : تَعْسًا للدهر، وتَبَّاً له ، وما أغدره ، وما أظلمه .. ونحو ذلك من الكلمات التى ترد على ألسنة الحاقدين الموتورين .. وهذا منهى عنه ؛ لأن الله تعالى (هو الدهر) أى : أن الله تعالى فاعل ما يُضاف إلى الدهر من الخير والشر والمسَرَّة والمساءة .. فإذا سببتم الذى تعتقدون أنه فاعل ذلك فقد سببتموه ـ تعالى الله عن ذلك.

قال فى النهاية : « كان من شأن العرب أن تذم الدهرَ وتَسُبَّه عند النوازل والحوادث ، ويقولون : أبادَهُم الدهر ، وأصابتهم قوارع الدهر وحوادثه ، ويُكثرون ذكره بذلك فى أشعارهم » .

ومعنى قول الله تعالى : « **بيدى الليل والنهار** » أى : أنا الذى أُجريهما على هذا النظام البديع ، وأملك جميع الحوادث التى تقع فيهما .

ـ وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **قال الله عز وجَلَّ : يؤذينى ابن آدمَ ، يقول : يا خَيْبةَ الدهر ، فلا يقل أحدكم : يا خَيْبةَ الدهر ، فإنى أنا الدهرُ ، أُقلِّبُ ليله ونهاره** » رواه أبو داود والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم .. وهو متفق عليه من حديث أبى هريرة بألفاظ مختلفة .

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى :

ـ « وفى هذا ثلاث مفاسد عظيمة ، **إحداها** : سَبُّهُ مَنْ ليس بأهل للسب، فإن الدهر خلق مُسَخَّر من خلق الله ، منقاد لأمره ، مُذَلَّلٌ لتسخيره فسابُّه أولى بالذم والسب منه ، **والثانية** : أنَّ سَبَّه مُتَضَمِّنٌ للشرك ، فإنه إنما سبَّه لظنِّه أنه يضر وينفع ، وأنه مع ذلك ظالم ، قد ضَرَّ مَن لا يَسْتَحقُّ الحرمان، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة ، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة فى سَبِّه كثيرةٌ جداً ، وكثيرٌ من الجهال يصرِّح بلعنه وتقبيحه . **والثالثة** : أن السب منهم إنما يقع على فعل من هذه الأفعال التى لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السموات والأرض ، وإذا وقعَت وفق أهوائهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه .. وحقيقة الأمر أن رب الدهر تعالى هو المعطى المانع الخافض الرافع المعز المذل .. وأن الدهر ليس له من الأمر شىء ؛ فمسبتهم للدهر مسبة لله عز وجل ، ولهذا كانت للرب تعالى » .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا ؛ حتى لا يقعا فى هذا الخطأ الجسيم الذى وقع فيه هؤلاء الجهلاء الأغبياء الذين يسبون الدهر .. وليكونا ـ إن شاء الله تعالى ـ من هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين ينزهون الله سبحانه وتعالى عن كل هذا الجهل الكبير ؛ حتى يكونا من أهل الرحمة ، إن شاء الله .. والله ولى التوفيق .

***

٤٢ ـ وهُم الذين يُصلحونَ بين الناسِ

حتى يفوزوا بالثواب المشار إليه فى نص حديث شريف ، رواه البخارى ومسلم :

ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كُلُّ سُلامَى(١) من الناس عليه صدقة(٢) ، كُلُّ يومٍ تطلع فيه الشمس(٣) : يعدل بين الاثنين صدقة ، ويُعين الرجل فى دابته فيحمله عليها ، أو يرفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكُلِّ خَطوةٍ يمشيها إلى الصلاة صدقة ، ويُميط الأذى عن الطريق صدقة** » .

ـ فهذا حديث عظيم يدل على أن الصدقة لا تقتصر على إخراج المال ، ولكنها تشمل أعمال الخير كلها . قال القسطلانى : « إن الله سبحانه وتعالى جعل فى العظام مفاصل بها تقدر على القبض والبسط ، وفى أعمالها من دقائق الصنائع ما تتحير فيه الأفهام ، فهى من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان ، وحق المنعم عليه أن يقابل كل نعمة منها بشكر يخصها ، فيُعطى كما أُعطِىَ منفعة ، ولكن الله تعالى خفَّفَ بأن جعل العدل بين الناس ونحوه صدقة ، وصلاة ركعتى الضحى تؤدى حق ذلك » .

---

(١) المعنى : أنه على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة .

(٢) أى : واجب عليه صدقة .

(٣) هذا ظرف للوجوب ، يعنى أنه وجوب متجدد كل يوم .

ـ وقد بيَّن الرسول ﷺ فى الحديث أنواع الصدقات التى تجب عن السُّلامَى، فبدأ بالعدل بين الاثنين إذا حكم بينهما فى خصومة ونحوها ، لأنه أهم من غيره ، وفى الأثر : «عدل ساعة خير من عبادة سنة » . وقد ورد فى السنة الترغيب فى هذا ـ بصفة خاصة ـ فعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أُخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة(١)؟ قالوا : بلى . قال : إصلاحُ ذات البَيْنِ(٢)، فإن فساد ذاتِ البَيْنِ هى الحالقةُ** »[٣] رواه أبو داود ، والترمذى ، وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث صحيح.

قال : ويُروى عن النبى ﷺ أنه قال : « **هى الحالقة ، لا أقول تحلق الشعرَ ، ولكن تحلق الدين** » .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يحرصا كل الحرص على الفوز بكل هذا الخير .. الذى من أهمه ـ كما علمنا ـ إصلاح ذات البين ؛ حتى يكونا ـ إن شاء الله ـ من أهل الرحمة .. والله ولى التوفيق .

***

---

(١) يعنى : أنها أرفع درجة من القيام بهذه العبادات على سبيل التطوع .

(٢) أى : إصلاح ما وقع من فساد وخصومة بين الرجلين .

(٣) أى : هى الخصلة التى من شأنها أن تحلق الدين أى : تهلكه ، وتستأصله كما يستأصل الموسى الشعر .

٤٣ ـ وهُم أهلُ الصَّمت إلا عن خير

وذلك حتى يتحقق فيهم المعنى المراد من الإسلام الحقيقى .. كما جاء فى نص حديث شريف رواه البخارى ومسلم والنسائى :

ـ عن أبى موسى ﷺ قال : قلت يا رسول الله : أى المسلمين أفضل[١] ؟ قال : « **مَن سلم المسلمون من لسانه ويده** » .

ـ فهذا الحديث العظيم يدل على أن أفضل خصال الإسلام ، هو حفظ اللسان واليد من التعرض بالأذى للمسلمين ، فلا يغتاب أحداً ، ولا يمشى بنميمة ، ولا يشهد زوراً ، ولا يقول هجراً ، ولا يسب أحداً ، ولا يضرب بيده إنساناً ، ولا يسرق بها مالاً ، ولا يُشير بها استهزاء .. إلخ .

ـ وهو حديث عظيم ، يدل على مدى عناية الإسلام بسلامة المجتمع من مظاهر الاعتداء وأنواع الشر والإيذاء التى من شأنها أن تجعل الأفراد مُهَدَّدِينَ لا يطمئنون على نفس ولا على مال .. فحبَّذَا لَوْ راعَى المسلمون هذا التوجيه النبوى الكريم ، فاحترم بعضهم حقوق بعض ، واعتبر كل منهم عدوانه على أخيه كأنه عدوان على نفسه .. قال **الخطابى** : « المراد أن أفضل المسلمين مَن جمع إلى أداء حقوق الله تعالى أداء حقوق المسلمين »[٢] أ . هـ .

---

(١) يعنى : أىّ خصال الإسلام أعظم درجة عند الله وأكثر ثواباً .

(٢) كما فى شرح الحديث فى الترغيب والترهيب ج٣ صـ ٧٧٩ وما بعدها (هامش) .

ـ وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَن يَضْمَنُ لى ما بين لحيَيْه(١) ، وما بين رجليه(٢) أضمن له الجنة** » رواه البخارى والترمذى .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه ، حتى يكونا من أهل الرحمة فى الجنة إن شاء الله .. والله ولى التوفيق .

***

---

(١) وهما العظمان بجانبى الفم ، وأراد بما بينهما : اللسان .

(٢) يعنى: الفرج .. ويضمن ـ بفتح أوله وسكون الضاد المعجمة والجزم ـ من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية .. فأطلق الضمان وأراد لازمه ، وهو أداء الحق الذى عليه .

٤٤ ـ وهُم الذين لا غِشَّ فى قلوبهم لأحَدٍ

طمعاً فى دخول الجنة ، وتأكيداً لحسن إسلامهم .. كما جاء فى نص حديث شريف :

ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : « **يا بُنَىَّ إن قدرتَ على أن تُصبِحَ وتُمسِى ليس فى قلبك غِشٌ لأحَدٍ(١) فافعل** » الحديث ، رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب .

ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كُنَّا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال : « **يطلع الآن عليكم(٢) رجل من أهل الجنة** » فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وَضُوئه(٣) ، قد عَلَّق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغَدُ(٤) ، قال النبى ﷺ **مثلَ ذلك** ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبى ﷺ **مثلَ مقالته أيضاً** ، فطلع ذلك الرجل على مثلِ حاله الأول ، فلما قام النبى ﷺ تبِعَهُ عبد الله بنُ عمرو ، فقال : إنِّى لاحَيْتُ أبى(٥) ، فأقسمْتُ أنِّى لا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيتَ أن

---

(١) يعنى : مكر وكيد وخداع .

(٢) أى : يدخل عليكم .

(٣) الوضوء بفتح الواو ، أى : الماء الذى يُتوضأ به . (والمعنى) أى : يقطر منها الماء .

(٤) يعنى : اليوم التالى .

(٥) أى : خاصمته ونازعته .

تُؤوِيَنى إليك[1] حتى تمضى فعلتَ . قال أنس : فكان عبد الله يُحدِّثُ أنه باتَ معه تلك الليالى الثلاثَ ، فلم يَرَهُ يقومُ من الليل شيئًا[2] ، غير أنَّه إذا تعارَّ[3] تقلَّب على فراشه ، ذكر الله عز وجَلَّ ، وكبَّر حتى صلاة الفجر . قال عبد الله : غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيراً ، فلما مضت الليالى الثلاثُ ، وكدتُ أن أَحْتَقِرَ عمله ، قلت : يا عبد الله ، لم يكن بينى وبين أبى غضبٌ ولا هُجرةٌ ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ـ ثلاث مرات ـ : « **يطلُع عليكم الآن رجل من أهل الجنة** » ، فطلعت أنتَ فى المرات الثلاث ، فأردتُ أن آوِيَ إليك فأنظر ما عملُكَ ، فأقتدى بك ، فلم أركَ عملتَ كَبيرَ عَمل ، فما الذى بلغ بك ما قالَ رسول الله ﷺ ؟ قال : ما هو إلا ما رأيتَ ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دعانى[4] فقال : ما هو إلا ما رأيتَ غير أنِّى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غِشّاً[5] ، ولا أحسُدُ أحداً على خير أعطاه الله إيَّاهُ ، فقال عبد الله : هذه التى بلغت بك [6].

رواه أحمد بإسناد على شرط البخارى ومسلم والنسائى ، ورواته احتجوا

---

(١) يعنى : تضمنى إليك وتنزلنى عندك .

(٢) يعنى : للتهجد قبل الفجر .

(٣) أى : استيقظ من الليل .

(٤) أى : نادانى .

(٥) أى : لا أُضمر لأحد خديعة ولا مكراً .

(٦) أى : وصلتك إلى الجنة .

بهم أيضاً إلا شيخه سويد بن نصر ، وهو ثقة وأبو يعلى والبزار بنحوه ، وسمى الرجل المبهم (سعداً) . وقال فى آخره : « فقال سعد : ما هو إلا ما رأيت يا بن أخى إلا أنى لم أبتْ ضاغناً على مُسلمٍ[1] ، أو كلمة نحوها » . وزاد النسائى فى رواية له ، والبيهقى ، والأصبهانى : « فقال عبد الله : هذه التى بلغت بك ، وهى التى لا نُطِيق[2] » .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن ينتفعا بهذا الخير ؛ حتى يكونا كذلك من أهل الجنة .. بل وحتى يكونا من أهل الرحمة ـ إن شاء الله ـ والله ولى التوفيق .

***

(١) يعنى : حاقداً على أحد .. من ضغن صدره أى : حقد .

(٢) أى : لا نقدر عليها .

٤٥ ـ وهُم أهلُ التَّواضُع

تنفيذاً لترغيب الرسول ﷺ كما جاء فى نص حديث شريف ، رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه :

ـ عن عِياض بن حَمَّاد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله أوحَى إلىّ أن تواضعوا(١) حتى لا يفخر أحد على أحد(٢) ، ولا يبغِى أحد على أحدٍ** » (٣).

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ما نقصت صدقة من مالٍ(٤) ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عِزّاً (٥) ، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله** »(٦) رواه مسلم ، والترمذى .

ـ وعن أبى سعيد ، وأبى هريرة رضي الله عنهما ، قالا : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) يعنى : أمرنى أن آمركم بأن يتواضع بعضكم لبعض .

(٢) أى : حتى لا يتعاظم أحد على أحد ، ويفخر عليه بما أُعطى من زيادة فى مال أو جاه .

(٣) أى : يعتدى عليه أو يظلمه .

(٤) لأن الله تعالى يبارك فيه ويدفع عنه الآفات ، فيغير نقصه الظاهر بالبركة الخفية .

(٥) أى : أن العفو عن المسىء ، والتجاوز عن مؤاخذته مما يزيد الله العبد به عِزّاً إلى عِزِّه .

(٦) أى : جازاه الله على ذلك بالشرف وعلو الدرجة .

« يقول الله عز وجلّ : العِزُّ إزَارُهُ ، والكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فمَن يُنازعُنِى(١) عذَّبتُه » رواه مسلم .

ورواه البرقانى فى مستخرجه من الطريق الذى أخرجه مسلم ، ولفظه : « يقول الله عزَّ وجلَّ : العزُّ إزارى ، والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى شيئاً منهما عذَّبتُه » .

ورواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ـ من حديث أبى هريرة وحده ـ قال رسول الله ﷺ : « **قال الله تبارك وتعالى : الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحداً منهما قذفته فى النار** »(٢) .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يلاحظا هذا المشار إليه فى هذه الأحاديث الشريفة ؛ حتى يكونا من أهل التواضع .. لا من أهل الكبر .. وحتى يكونا ؛ إن شاء الله ـ بسبب هذا التواضع ـ من أهل الرحمة .. والله ولى التوفيق .

***

(١) أى : فى أحدهما .

(٢) أى : رميته فيها .

٤٦ - وهُم أهل الصّدق

حتى يفوزوا بضمان الرسـول ﷺ المشار إليه فى نص حديث شريف ، رواه أحمـد وابن أبى الدنيا ، وابن حبـان فى صحيحـه ، والحاكم والبيـهقى ، كلهم من رواية المطلب بن عبـد الله بن حنطب عنه ، وقال الحـاكم : صحـيح الإسناد .

- عن عُبَادةَ بن الصَّامت رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **اضمنُوا لى سِتاً من أنفُسِكُم(١) أضْمنْ لَكُمُ الجنّةَ(٢) : اصدقـوا إذا حَدّثْتمْ ، وأوفُـوا إذا وَعَدْتم، وأدُوا إذا ائتُـمنتم ، واحـفظوا فُروجَكُم ، وغُضُّوا أبصـاركُم ، وكفُّوا أيْدِيَكُم** » .

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **عليكم بالصدق فإن الصّدق يَهدى إلى البِرّ(٣) ، والبرّ يَهدى إلى الجنة(٤) ، ومـا يزال الرجلُ يَصْدُقُ ويتَـحرّى الصّدقَ(٥) حـتى يُكتَبَ عند الله صدّيقـاً(٦) ،**

---

(١) أى : التزموا القيام بها ، وتعهدوا لى بذلك .

(٢) يعنى : أتكفَّل لكم بدخولها ، واضمن لكم ذلك على الله .

(٣) بكسر الباء ، أى : العمل الصالح .

(٤) أى : يوصل إليها ويدل على طريقها .

(٥) يعنى : يجتهد فيه ويلتزمه .

(٦) أى : يحكم له بذلك ، ويستحق الوصف به .

وإيّاكم والكذبَ(١) ، فإنّ الكذبَ يَهدِى إلى الفُجور(٢) ، والفُجور يهدى إلى النار ، وما يزال العبد يكذبُ ويتحرّى الكذبَ(٣) حتى يُكتبَ عند الله كذّاباً ،(٤) . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه ، واللفظ له .

فعلى الأخ المسلم ـ بصفة خاصة ـ أن يلاحظ هذا .. ويتحرى الصدق الذى ينبغى عليه أن يصل عن طريقه إلى الصِّدِّيقيَّة ، التى هى قبل مرتبة النبوة مباشرة .. كما أشار الله تعالى إلى هذا مرتين فى سورة مريم ، فقال تعالى : **﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾**(٥) وقال : **﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾**(٦) ، وعلى المرأة المسلمة أن تشاركه أيضاً فى هذا الخير ، حتى يكونا بهذا كذلك من أهل الرحمة إن شاء الله.. والله ولى التوفيق .

***

---

(١) يعنى : احذروه وتجنبوه .
(٢) أى : الانغماس فى المعاصى .
(٣) أى : يتعمده ويقصده .
(٤) أى : يحكم له بذلك ، ويستحل الوصف به .
(٥) سورة مريم : الآية ٤١ .
(٦) سورة مريم : الآية ٥٦ .

٤٧ـ وهم الذين يعملون الأعمال الصالحة ولا سيما عند فساد الزمان

تنفيذاً لما جاء فى نص حديث شريف ورد :

ـ عن أبى أُمَيَّة الشعبانىِّ قال : قلتُ : يا أبا ثعلبةَ كيف تقول فى هذه الآية : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ .. ﴾ [المائدة : ١٠٥] قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً(١) ، سألتُ عنها رسول الله ﷺ ، فقال : **«ائتمروا بالمعروف(٢) ، وانتهوا عن المنكر(٣) ، حتى إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً(٤) ، وهَوَى مُتَّبعًا(٥) ، ودنيا مُؤْثَرةً(٦) ، وإعجابَ كُلِّ ذى رأى برأيه(٧) ، فعليك بنفسِكَ(٨) ، ودع عنكَ العَوامَّ(٩) ، فإنَّ من ورائكم أيَّام الصَّبْر(١٠) ،**

---

(١) الخبير : أى : العارف بالخبر ، والفقيه .

(٢) أى : ليأمر بعضكم بعضاً بجميل الأفعال وحميد الخصال .

(٣) أى : ابتعدوا عن الموبقات وكفوا أنفسكم عن القبائح .

(٤) أى : طاعة الناس للشيطان فيما يأمرهم به من البخل والإمساك .

(٥) أى : شهوات وأهواء يتبعها الناس وينقادون لها .

(٦) أى : مفضلة ومقدمة على الآخرة .

(٧) يعنى : افتتانه به فهو لا يقلع وإن قام له الدليل على بطلانه .

(٨) أى : الزم شأن نفسك واجتهد فيما يصلحها .

(٩) أى : اترك الاشتغال بأمور العوام .

(١٠) يعنى : ستأتى من بعدكم فتن وأحداث يحتاج معها المؤمن إلى صبر كثير .

الصّبر فيهنّ مثلُ القبض على الجمر(١) ، للعامل فيهنّ مثلُ أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله »(٢) رواه ابن ماجه ، والترمذى . وقال : حديث حسن غريب ، وأبو داود ، وزاد : قيل يا رسول الله : أجر خمسينَ رجلاً منَّا ، أَمْ منهم ؟ قال : « بل أجر خمسين منكم » .

والآية التى ورد جزء منها فى نصِّ الحديث من سورة المائدة ، ولفظها : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، وقد قال ابن كثير حول تفسيرها :

« يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يُصلحوا أنفسهم ، ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ، ومخبراً لهم أنه مَن أصلح أمره لا يضره فسادُ من فسد من الناس ، سواء أكان قريباً منه ، أم بعيداً . قال العوفى عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية : أى : إذا ما العبد أطاعنى فيما أمرته به من الحلال ، ونهيتُه عنه من الحرام ، فلا يضره مَن ضَلَّ بعده إذا عمل بما أمرته به » .

ـ وعن مَعقِل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « عبادةً(٣) فى

---

(١) يعنى : أن ما ينال المؤمن من الأذى بسبب استمساكه بدينه ، يشق معه الصبر جداً حتى يكون مثل القبض على الجمر باليد .

(٢) يعنى : أن العامل فى هذه الأيام بطاعة الله ، المتمسك بالسنة ، له من الأجر على العمل مثل أجر خمسين يعملون مثل هذا العمل ، وذلك لمشقة العمل فى هذه الأيام .

(٣) وعند ابن ماجه (العبادة) بالتعريف .

الهَرْجِ[1] ، كهِجْرةٍ إلىّ ،[2] رواه مسلم ، والترمذى ، وابن ماجه .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يلاحظا ما جاء فى هذين الحديثين الشريفين من الترغيب فى الأعمال الصالحة وينفذاه ؛ حتى يكونا من الفائزين بهذا الثواب المشار إليه فيهما ، بل وحتى يكونا من أهل الرحمة إن شاء الله.. والله ولى التوفيق .

***

(١) الهَرْج ـ بفتح فسكون ـ أى : فى أيام الفتن وظهور الخلاف بين الناس .

(٢) يعنى : أن ثوابها يعدل ثواب هجرة إلى رسول الله ﷺ ، وذلك حين كانت الهجرة إلى المدينة فريضة ، وكانت من أفضل الأعمال .

٤٨ ـ وهُم الذين يُداوِمُونَ على العمل الصَّالح .. وإنْ قَلَّ

تنفيذاً لما جاء فى نص حديث شريف ورد :

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان لرسول الله ﷺ حَصِيرٌ[١]، وكان يحجزُهُ[٢] بالليل ، فيُصَلِّى عليه ، ويبسطُهُ[٣] بالنهار ، فيجلس عليه ، فجعل الناس يثوبون[٤] إلى النبى ﷺ فيُصَلُّونَ بصَلاته[٥] حتى كثروا[٦] ، فأقبل عليهم فقال : « **يا أيها الناسُ خذوا من الأعمال ما تُطِيقُون ، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قَلَّ** » وفى رواية : « وكان آل مُحَمَّد إذا عملُوا عملاً أثبتوه » ، وفى رواية قالت : إن رسول الله ﷺ سُئِل : أىُّ الأعمال أحبُّ إلى الله ؟ قال : « **أدومُه وإن قل** »[٧] ، وفى

---

(١) الحصير : البساط الصغير من النبات وكل ما نُسِجَ .

(٢) أى : يجعله حاجزاً بينه وبين غيره ، وروى بالراء المهملة أى : يتخذه كالحجرة .

(٣) أى : ينشره ويفرشه .

(٤) أى : يجتمعون .. كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا** ﴾ .

(٥) وقد ورد فى بعض الأحاديث ما يفيد أن ذلك كان فى رمضان ، وكان هو الأصل فى مشروعية صلاة التراويح فى جماعة .

(٦) فلم يخرج عليهم حتى لا تفرض عليهم صلاة الليل ..

(٧) أى : أكثره دواماً واستمراراً حتى ولو كان أقل كمية من غيره ، فقليل دائم خير من كثير منقطع.

رواية : أن رسول الله ﷺ قال : « **سَدِّدُوا وقاربُوا**(١) ، **واعلموا أنه لن يُدْخِلَ أحدَكم عملُهُ الجنةَ**(٢) ، **وإن أَحبَّ الأعمالِ إلى الله أدومُهَا وإن قَلَّ** » رواه البخارى ومسلم ، ولمالك والبخارى أيضاً ، قالت : «**كان أحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل الذى يدوم عليه صاحبه**»(٣) ولمسلم : «**كان أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قَلَّ** ». وكانت عائشة رضي الله عنها إذا عَمِلَتْ العمل لزِمَتْهُ(٤). ورواه أبو داود ، ولفظه : أن رسول الله ﷺ قال : « **اكلَفُوا**(٥) **من العمل ما تطيقون**(٦) ، **فإن الله لا يَمَلُّ حتّى تَمَلُّوا**(٧) ، **وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قَلَّ ، وكان إذا عمل عملاً أثبته** »(٨) .

ـ وفى رواية له قال : سألت عائشة رضي الله عنها : « كيف كان عمل رسول الله

---

(١) أى : التزموا السداد والاستقامة .. وقاربوا ، أى : حاولوا أن تقربوا من الكمال إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل .

(٢) يعنى : لا تغتروا بأعمالكم ، مهما بلغت من الكثرة والجودة ، ولا تظنوا أنها هى التى تدخلكم الجنة ، بل دخولها بمحض فضل الله عز وجل .

(٣) أى : يثبت ويستمر عليه .

(٤) أى : واظبت واستمرت عليه ..

(٥) يقال : كلف الأمر ، أى : حمله على مشقة .

(٦) أى : بما تقدرون عليه .

(٧) لأن الانقطاع عن العمل سبب فى قطع الله عز وجل فضله وثوابه ، ولهذا فإنه ينبغى الالتزام بالأمر اليسير الذى يمكن المداومة عليه .

(٨) أى : داوم عليه .

ﷺ هل كان يخصُّ شيئاً من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عمله ديمةً ، وأيكُم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع » رواه الترمذى ، ولفظه : «كان أحبَّ الأعمال إلى رسول الله ﷺ ما ديمَ عليه» ، وفى روايه له : « سُئلت عائشةُ وأمُّ سلمة رضي الله عنهما : « أىُّ العمل كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ ؟ قالتا : ما ديم عليه وإن قَلَّ » .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يفهما المراد من كل تلك الروايات ، وينفذاه ـ اقتداء برسول الله ﷺ ـ وحتى يكونا بسبب هذا ـ إن شاء الله ـ من أهل الرحمة .. والله ولى التوفيق .

***

٤٩ ـ وهُم الذين يَخافون من الله ويَرجُون رحمته

اقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه الفُضَلاء .. عليهم جميعاً رضوان الله :

ـ فعن أنس رضي الله عنه قال : خطب رسول الله ﷺ خُطبةً ما سمعتُ مثلَها قَطُّ ، فقال : « **لو تعلمون ما أعْلَمُ لضَحِكْتُم قليلاً ، ولبَكَيْتُم كثيراً** » فَغَطَّى أصحاب رسول الله ﷺ وجوهَهُم ولهم خنين[١] . رواه البخارى ومسلم .

ـ وفى رواية : بلغ رسول الله ﷺ من أصحابه شىء ، فخطب فقال : «**عُرِضَتْ عَلَىَّ الجنة والنار(٢) ، فلم أر كاليوم فى الخير والشَّرْ(٣) ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً** »[٤] فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يَوْمٌ أشدُّ منه[٥] ، غَطَّوْا رُؤُوسَهم ولهم خنين .

---

(١) قال فى النهاية : « هو ضرب من البكاء دون الانتحاب .. وأصل الخنين : خروج الصوت من الأنف كالخنين من الفم . وفى الحديث أنه كان يسمع خنينه فى الصلاة » .

(٢) يعنى : مُثِّلَتا له ﷺ على الصفة التى عليها كل منهما ..

(٣) يعنى : أن ما رأيته من الخير و الشر فى هذا اليوم أكثر من أى يوم مضى .

(٤) وذلك لغلبة الحزن واستيلاء الخوف .

(٥) وذلك لشدة تأثرهم بالموعظة .

ـ وأما عن الترغيب فى الرجاء وحُسن الظن بالله ـ عز وجل ـ ولا سيما عند الموت .. فقد ورد فيه :

ـ عن أنس ﷺ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تعالى : يا بن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالى(١) ، يا بن آدم لو بلغت ذُنوبك عَنَانَ السماء(٢) ثم استغفرتنى غفرتُ لك ، يا بن آدم لو أتيتنى بقُرابِ الأرضِ خطايا، ثم لقيتنى لا تُشركُ بى شيئاً ؛ لأتيتُك بقرابها مغفرة** » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

ـ ولمسلم من حديث أبى ذر ﷺ : « لو لقينى عبدى بقُراب الأرضِ ذُنوبًا لقيتُه بقرابها مغفرة » .

ومعنى (قراب الأرض) ـ بكسر القاف ، وضمها أشهر ـ : أى : ما يقارب ملأها .

ـ وعن أنس أيضاً ﷺ أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت(٣) ، فقال : « **كيف تجدك ؟** »(٤) قال : أرجو الله يا رسول الله ، وإنى أخاف ذنوبى(٥) ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا يجتمعان فى قلب عبدٍ فى**

---

(١) أى : ولا أكترث بذلك ولا أهتم له .

(٢) هو ـ بفتح العين ـ : السحاب . وبكسرها : اللجام .. والمراد هنا هو الأول .

(٣) يعنى : وهو يعالج سكرات الموت .

(٤) يعنى : على أى حال أنت أراجٍ أم خائف ؟ .

(٥) أى : أنه جمع بين الرجاء فى رحمة الله ومغفرته ، وبين الخوف من المؤاخذة على الذنب .

مثلِ هذا الموطنِ إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأَمَّنَهُ مِمَّا يخاف »[1].

رواه الترمذى ، وقال : حديث غريب ، وابن ماجه ، وابن أبى الدنيا كلهم من رواية جعفر بن سليمان الضبعى عن ثابت عن أنس .

قال الحافظ : إسناده حسن ، فإن جعفراً صدوق صالح ، احتج به مسلم ووثقه النسائى ، وتكلم فيه الدارقطنى وغيره .

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **حُسْنُ الظَّنِّ من حُسْنِ العبادة** » رواه أبو داود ، وابن حبان فى صحيحه ، واللفظ لهما ، والترمذى والحاكم ولفظهما قال : « إن حُسْنَ الظَّنِّ من حُسْنِ عبادة الله » ، أى : من جملة العبادات الحسنة التى يتقرب بها إلى الله تعالى ، بإضافة حسن إلى العبادة ، من إضافة الصفة للموصوف .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة أن يخافا من الله تعالى .. بمعنى أن يخشيا غضبه سبحانه وتعالى ؛ حتى لا يفْعلا ما نهى عنه سبحانه وتعالى .. فيستحقا بذلك عذابه .. وأن يكونا أيضاً ـ فى نفس الوقت ـ من الذين يرجون رحمة الله تعالى ؛ حتى لا يكونا ـ والعياذ بالله ـ من الذين ييأسون من رحمة الله .. وحسبهما ـ كما جاء فى الحديث الأخير ـ أن يكونا من الذين يحسنون الظن بالله عز وجل ؛ حتى يكونا من أهل الرحمة إن شاء الله .. والله ولى التوفيق .

***

---

(١) وهذه بشرى من النبى ﷺ له ..

٥٠. وهم الذين يسألون الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة

وذلك أملاً فى تحقيق ، ما ورد :

ـ عن أنس ﷺ أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أىُّ الدعاء أفضل ؟ قال : « **سَلْ ربك العافية والمعافاةَ فى الدنيا والآخرة** ، ثم أتاه فى اليوم الثانى ، فقال : يا رسول الله أىُّ الدعاء أفضل ؟ **فقال له مثلَ ذلك** ، ثم أتاه فى اليوم الثالث ، **فقال له مثل ذلك** ، قال : **فإذا أُعطيتَ العافية فى الدنيا ، وأُعْطِيتَها فى الآخرة ، فقد أفلحت** »[1] رواه الترمذى ، واللفظ له ، وابن أبى الدنيا : كلاهما من حديث سلمة بن وردان ، عن أنس ، وقال الترمذى : حديث حسن .

ـ **والعافية** هى : السلامة من البلايا والأسقام ، والفتن ، ما ظهر منها وما بطن .. وأما **المعافاة** ، فهى : أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك ، أى : يغنيك عنهم ، ويغنيهم عنك ، ويصرف أذاهم عنك ، وأذاك عنهم ، وقيل : هى مفاعلة من العفو ، وهو أن يعفو عن الناس، ويعفوا هم عنه .

ـ وعن أبى بكر ﷺ أنه قام على المنبر ثم بكى ، فقال : قام فينا

---

(١) أى : ظفرت بِخَيْرَىِ الدنيا والآخرة .. فما أُعطى أحد ـ بعد تقوى الله ـ خيرًا من العافية .

رسول الله ﷺ عام أوَّل[1] على المنبر ، ثم بكى[2] ، فقال : « **سلوا الله العفو والعافية ، فإن أحداً لم يُعط بعد اليقين خيراً من العافية** » رواه الترمذى من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل ، وقال : حديث حسن غريب ، ورواه النسائى من طرق ، وعن جماعة من الصحابة ، وأحد أسانيده صحيح .

ـ وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من دعوة يدعو بها العبدُ أفضلُ من : اللهم إنى أسألك العفوَ والعافية** » .

ـ وفى رواية : « اللهم إنى أسألك المعافاة فى الدنيا والآخرة » رواه ابن ماجه بإسناد جيد .

ـ وعن أبى مالك الأشجعىِّ عن أبيه أن رجلاً أتى النبىَّ ﷺ فقال : يا رسول الله كيف أقول حين أسأل ربى ؟ قال : « **قل : اللهم اغفر لى وارحمنى وعافنى وارزقنى**[3] ، **ويجمع بين أصابعه إلا الإبهام**[4] ، **فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك** » رواه مسلم .

---

(١) يعنى : العام الذى قبل الماضى .

(٢) أى : شفقة على أمته مما علم أنه ينزل بها من البلايا والفتن .

(٣) لأن هذه الأربع هى غاية ما يطلبه العبد ، فهو محتاج إلى مغفرة لذنبه ، ورحمة ينجو بها من غضب ربه ، وعافية يسلم بها من البلاء فى نفسه ، ودينه ، ورزق حسن يعيش به غذاء لروحه وجسمه .

(٤) يعنى : أنه كان يعدها له على أصابعه .

ـ فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة ، أن يكثرا من هذا الدعاء العظيم ؛ عسى أن يتقبله الله تعالى منهما ، كما تقبله من حبيبه صلوات الله وسلامه عليه ، وأصحابه الفضلاء .. وحتى يكونا ـ إن شاء الله تعالى ـ بسبب هذا القبول من أهل الرحمة .. والله ولى التوفيق .

***